نعوم تشومسكى

9-11



تعريب :
إبراهيم محمد إبراهيم

مكتبة الشروق الدولية

٩/ ١١

الطبعـــة الأولى

١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م

مكتبة الشروق الدولية

القاهرة ـ كوالالمبور ـ جاكارتا ـ لوس أنجلوس

تليفون وفاكس: ٤٥١٤٤٦٧ ـ ٢٥٦٥٩٢٩ ـ تليفون ٤٥٣٦٢٤٨

Email: adel almoalem < shoroukintl @ Yahoo. com >

أود أن أشكر ديفيد بيترسون وشيفرا
ستيرن على ما قدماه من مساعدة عظيمة
جدا فى مجال الأبحاث فى الإعلام المعاصر .

نعوم تشومسكى

كلمة المحرر

هذا الكتاب الذى بين أيدينا هو سلسلة من المقابلات التى أجراها مع نعوم تشومسكى عدد متنوع من المحاورين أثناء الشهر الأول الذى تلا هجمات الحادى عشر من سبتمبر/ ٢٠٠١ ، على مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) . لقد أجريت هذه المقابلات بشكل رئيسى عبر البريد الإلكترونى والكثير منها قد أجراه صحفيون أجانب يتحدثون الإنجليزية ويكتبونها كلغة ثانية . ومع أن بعض هذه المقابلات قد تم فى وقت مبكر يرجع إلى ما بعد الهجمات بثمانية أيام، إلا أن عمليات التحرير والإضافة والمراجعة التى تتمشى مع أحدث الأخبار استمرت حتى دفع بالكتاب للمطبعة فى ١٥ أكتوبر/ ٢٠٠١ . ونتيجة لذلك، قدتحتوى المقابلات التى تحمل تاريخ سبتمبر على أحداث وقعت فى أكتوبر . بل أكثر من ذلك، فقد تم حذف بعض الأقسام أثناء عملية التحرير ؛ إذ تكررت فيها الأسئلة والإجابات بين المقابلات، ومع ذلك، تم الاحتفاظ، من آن لآخر، عمداً بحقيقة أو نقطة متكررة وذلك بغرض التأكيد عليها . فكما كتب لى نعوم تشومسكى أثناء عملية التحرير : " لقد تم حذف هذه الحقائق من التاريخ حذفًا تامًا ؛ لذا فعلى المرء أن يصرخ بها بالمعنى العملى للكلمة " .

جريج روجيرو

مدينة نيويورك

نبذة عن المؤلف والناشر

يعد **نعوم تشومسكى** واحدًا من الناشطين السياسيين المشهورين، كما أنه كاتب وأستاذ للغويات فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، حيث يدرس فيه منذ عام ١٩٥٥ . لقد كتب وحاضر تشومسكى على نطاق واسع فى اللغويات والفلسفة والسياسة. من بين كتبه : «ماذا يريد العم سام؟ - السلطات والتطلعات - النظم العالمية قديمها وجديدها - كبح الديموقراطية - صناعة الموافقة (بالاشتراك مع إى. إس. E.S هيرمان) - العام ٥٠١ - الغزو مستمر - الربح على حساب الناس - العسكرية الإنسانية الجديدة - آفاق جديدة فى دراسة اللغة والعقل - الدول المارقة - جيل جديد يرسم خطًا فاصلاً - ثقافة الإرهاب» .

تحتفى حركات السلام والعدالة الاجتماعية فى كل أنحاء العالم بجهود تشومسكى من أجل المزيد من الديموقراطية ، (ونعوم تشومسكى أمريكى يهودى) .

* * *

الإعلام المفتوح: تأسس عام ١٩٩١ كناشر [أمريكى] يعارض حرب الخليج بواسطة كتيبات، واستمر ذلك حتى اليوم فى صورة سلسلة منشورات أنتجتها مطبعة سفن ستوريز . وهذا الكتاب (٩/١١) أول كتب «الإعلام المفتوح» .

١

لم يحدث هذا منذ حرب ١٨١٢

من مقابلة مع جريدة المانيفيستو (إيطاليا) ١٩ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال: لم يتسبب سقوط سور برلين فى وقوع أى ضحايا، غير أنه أحدث تغييراً عميقًا فى المسرح السياسى. فهل تعتقد أن هجمات ١١ / ٩ قد يكون لها أثر مشابه؟

تشومسكى: كان سقوط سور برلين حدث له أهمية كبرى كما أنه غير المسرح السياسى، ولكن ليس بالطرق المعتادة المفترضة، حسب رأيى. لقد حاولت أن أشرح أسبابى فى ذلك فى مكان آخر، ولن أخوض فيها الآن. فالفظائع الرهيبة التى حدثت فى الحادى عشر من سبتمبر تعد شيئًا جديدًا فى الشئون الدولية، ولا يرجع ذلك إلى نطاقها أو إلى طابعها، وإنما إلى ما كانت تهدف إليه. فبالنسبة للولايات المتحدة، هذه هى المرة الأولى منذ حرب ١٨١٢ التى يتعرض فيها الأمن القومى للهجوم، أو حتى للتهديد. هناك الكثير من المعلقين الذين لفتوا الأنظار إلى تشابه مع بيرل هاربر، غير أن هذا شىء مضلل؛ ففى السابع من ديسمبر عام ١٩٤١، تم الهجوم على القواعد العسكرية فى اثنين من مستعمرات الولايات المتحدة - وليس أرض الوطن، التى لم تكن أبدًا عرضة للتهديد. كانت الولايات المتحدة تفضل أن تطلق على هاواى "أرضا وطنية" لكنها كانت فى حقيقة الأمر مستعمرة. أثناء العديد من القرون الماضية، أفنت الولايات المتحدة من سكان البلاد الأصليين الملايين من الناس، وفتحت نصف المكسيك، أرض الشعوب الأصلية [لأمريكا]، ولكن هذا موضوع آخر، وتدخلت تدخلاً عنيفًا فى الأقاليم المحيطة،

وفتحت هاواى والفليبين، فقتلت مئات الآلاف من الفليبينيين. وفى نصف القرن الماضى، على وجه الخصوص، مدت نشاطها فى استخدام القوة إلى أنحاء كثيرة من العالم، وكان عدد الضحايا ضخمًا. وللمرة الأولى اتجهت فوهات المدافع فى اتجاه آخر، ويعد هذا تغيرًا مثيرًا. ويصدق القول نفسه عند الحديث عن أوروبا، بل هو أشد إثارة؛ إذ أن أوروبا عانت دمارًا فتاكًا، لكن ذلك كان ناتجًا عن حروب داخلية، أثناء ذلك، فتحت القوى الأوروبية الكثير من أنحاء العالم بقسوة بالغة، فالبلاد الأوروبية لم تتعرض لهجمات من جانب ضحاياها من الأجانب، ذلك باستثناءات شديدة الندرة. فلم تهاجم الهند إنجلترا، ولم تهاجم الكونجو بلجيكا، ولا إيطاليا إثيوبيا، كما لم تهاجم الجزائر فرنسا، وأيضًا لم تعتبر فرنسا الجزائر "مستعمرة" فلا غرو إذن، فى أن تصاب أوروبا بالذهول التام بسبب الجرائم الإرهابية التى حدثت فى الحادى عشر من سبتمبر، ومرة أخرى لا يرجع هذا إلى نطاق هذه الأحداث فللأسف، لم يستطع أحد أن يخمن ما تنذر به، غير أن الأمر الواضح الجلى هو أنها جديدة فى بابها.

سؤال: انطباعى هو أن هذه الهجمات لن تقدم لنا سيناريو سياسيًا جديدًا، أى تصورًا جديدًا للحركة السياسية، بل إنها تؤكد على وجود مشكلة داخل "الإمبراطورية." والمشكلة تتعلق بالسلطة السياسية والقوة. فماذا تعتقد؟

تشومسكى: من المحتمل أن يكون مرتكبو هذه الجريمة فئة فى حد ذاتها، إلا أن الشىء الذى لا جدال فيه أنهم يستمدون الدعم من مخزون المرارة والغضب من سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، امتدادًا من الغضب فى الماضى على السادة الأوروبيين. وما من شك فى وجود قضية تتعلق "بالسلطة السياسية والقوة".

فى أعقاب تلك الهجمات، أجرت صحيفة الوول ستريت جورنال مسحًا لآراء "المسلمين الأثرياء، أى أصحاب رءوس الأموال" فى المنطقة، مثل أصحاب المصارف والمهنيين ورجال الأعمال الذين تربطهم علاقات بالولايات المتحدة. وقد عبروا عن غضبهم وحنقهم من الولايات المتحدة؛ بسبب دعمها للحكومات التسلطية القاسية، وبسبب الحواجز التى تضعها واشنطون فى وجه التنمية المستقلة والديموقراطية السياسية عن طريق سياساتها فى "دعم النظم القمعية" ومع ذلك،

كان همهم الرئيسى مختلفًا: سياسات واشنطون تجاه العراق، وتجاه احتلال إسرائيل العسكرى. وبين السواد الأعظم من الفقراء، الذين يعانون من ظروف المعيشة، تكون المشاعر المشابهة أشد مرارة، فهم لا يسرهم أن تتدفق ثروات المنطقة إلى الغرب، وإلى نخب صغيرة ذات توجه غربى، وحكام فاسدين قساة، تساندهم القوى الغربية. إذن هناك بالتأكيد مشكلات السلطة والقوة. وكان رد فعل الولايات المتحدة المباشر هو التعامل مع هذه المشكلات عن طريق جعلها أشد حدة، وليس هذا، بالطبع، أمرًا حتميًا. ويتوقف قدر كبير على ما يترتب على هذه الاعتبارات.

سؤال: هل تواجه أمريكا متاعب فى التحكم فى عملية العولمة؟ ولا أقصد فقط فى حدود الأمن الوطنى أو نظم المخابرات؟

تشومسكى: لا تتحكم الولايات المتحدة فى مشروع العولمة الكبير، رغم أنها، بالطبع، تلعب دورًا رئيسيًا وأساسيًا. وهذه البرامج تثير معارضة شديدة فى الجنوب، بشكل رئيسى، حيث يمكن دائمًا قمع احتجاجات الجماهير، أو تجاهلها. وفى السنوات القليلة الماضية، وصلت الاحتجاجات إلى البلاد الغنية أيضًا، ومن هنا صارت بؤرة كبيرة للاهتمام بالنسبة للأقوياء. فهم يشعرون أنهم الآن، فى موقف الدفاع، ولهم كل الحق فى ذلك الشعور. وهناك أسباب قوية واضحة للمعارضة التى شملت جميع أرجاء العالم لصيغة حق المستثمر، تلك الصيغة الخاصة "العولمة" التى يتم فرضها، ولكن ليس هذا مجال الخوض فى هذا الموضوع.

سؤال: "القنابل الذكية" فى العراق، "التدخل الإنسانى" فى كوسوفو. لم تستخدم الولايات المتحدة كلمة "حرب" لوصف ذلك. والآن يتحدثون عن حرب ضد عدو لا اسم له، فلماذا؟

تشومسكى: فى البداية استخدمت الولايات المتحدة كلمة "حرب صليبية" ولكن أشير بسرعة بأنهم إذا كانوا يرغبون فى كسب تأييد حلفائهم فى العالم الإسلامى، فإن هذا الاستخدام سوف يكون خطأ كبيرًا لأسباب ليست فى حاجة إلى الشرح؛ لذا تحول الخطاب إلى "الحرب". لقد سميت حرب الخليج فى عام

١٩٩١ بـ "الحرب" وسمى قصف القنابل على الصرب بأنه "تدخل إنسانى، " وليس هذا بأى حال استخدامًا جديدًا؛ إذ أن هذا كان وصفًا معتادًا للمغامرات الأوروبية الإمبريالية فى القرن التاسع عشر.

ولكن حتى حجة "التدخل الإنسانى" لا يمكن استخدامها بالطريقة العادية فى الحالة الراهنة؛ لذا لم يتبق أمامنا سوى كلمة "حرب".

وقد يكون الاصطلاح المناسب هو "الجريمة" - ربما "الجريمة ضد الإنسانية" كما أكد على ذلك روبرت فيسك. ولكن هناك قوانين يتم اتباعها لمعاقبة الجرائم هى تحديد الجناة، وتحميلهم المسئولية، النهج الموصى به على نطاق واسع فى الشرق الأوسط بواسطة الڤاتيكان، والكثير من الآخرين. لكن هذا يتطلب أدلة ملموسة، وهذه تفتح الأبواب أمام الكثير من الأسئلة مثل من هم مرتكبو جريمة الإرهاب الدولى التى أدانتها المحكمة الدولية منذ ١٥ سنة" ؟ هذا إذا ما اكتفينا بذكر أوضح هذه الأسئلة.

لمثل هذه الأسباب، يستحسن استخدام لفظ غامض، مثل "الحرب". أما تسميتها بـ "الحرب ضد الإرهاب" فما هو ببساطة إلا محض دعاية ما لم تستهدف الحرب الإرهاب بالفعل. ولكن من الواضح أن هذا لا يجول بالخاطر؛ لأن القوى الغربية لا يمكنها قط الالتزام بتعريفاتها الرسمية لهذا اللفظ، كما يرد فى قانون الولايات المتحدة أو كتيبات الجيش؛ إذ أنها إذا فعلت ذلك، فسوف يكشف هذا على الفور، عن أن الولايات المتحدة دولة تتزعم الإرهاب(*)، شأنها شأن عملائها.

(*) تعريف الإرهاب حسب الوثائق الأمريكية والتى يبنى عنيها تشومسكى رأيه فى أن الولايات المتحدة دولة إرهابية "العمل الإرهابى يعنى أى نشاط: (أ) ينطوى على فعل عنيف أو فعل بشكل خطرًا على الحياة الانسانية، أى أنه انتهاك للقوانين الجنائية فى الولايات المتحدة أو أى ولاية. أو ذلك الذى يمكن أن يكون جنائيًا إذا ارتكب داخل الاختصاص القضائى للولايات المتحدة أو أى ولاية. (ب) يبدو المقصود منه: ١ - تخويف أو إجبار السكان المدنيين. ٢ - التأثير على سياسة حكومة بالترهيب أو الإجبار. ٣ - التأثير فى مسلك حكومة عن طريق الاغتيال أو الاختطاف. - [قانون الولايات المتحدة (أخبار الكونجرس والإدارة)، الكونجرس الثامن والتسعون، دور الانعقاد الثانى، ١٩٨٤ - ١٩ أكتوبر، مجلد ٢ فقرة ٣٠٧٧ - ، ٩٨ STAT ، ٢٧٠٧ - نشر شركة ويست، ١٩٨٤].

وربما يجوز أن أقتبس شيئا مما قاله عالم السياسة مايكل ستول "يجب أن نعترف أنه تقليدى - ويجب التأكيد على كلمة تقليدى - بأن الاستخدام الشديد للقوة والتهديد باستخدام القوة، عادة ما يوصف بأنه دبلوماسية قهرية جبرية، وليس باعتباره شكلاً من أشكال الإرهاب." مع أنه، عمومًا، ينطوى على "التهديد بالقوة وغالبا استخدام العنف لما يمكن وصفه أغراضًا إرهابية، ما لم تكن قوى عظمى هى التى تتبع التكتيكات نفسها"، طبقًا للمعنى الحرفى للمصطلح. تحت الظروف [التى، بالاعتراف، لا يمكن تخيلها]، والتى تكون فيها الثقافة الفكرية الغربية، راغبة فى تبنى هذا المعنى الحرفى، سوف تتخذ الحرب ضد الإرهاب شكلاً مختلفًا تمامًا، على أساس خطوط عبر عنها بالتوسع والتفصيل فى كتابات لا تدخل فى قائمة المصادر التى يوثق بها! . إن الاقتباس الذى أورده يشار إليه فى مجلد شامل يسمى إرهاب الدولة الغربية، تحرير أليكس چورج، ونشره أحد كبار الناشرين منذ عشر سنوات، ولكنه لا يذكر فى الولايات المتحدة. ثم إن هناك توضيحًا للنقطة التى يذكرها ستول بالتفصيل من خلال الكتاب. وهناك الكثير من الأمثلة، وهى موثقة توثيقًا كبيرًا من أكثر المصادر التى يمكن التعويل عليها - مثلاً هناك وثائق رسمية حكومية - ولكنها لا تذكر فى الولايات المتحدة، رغم أن هذا المحظور (التابو) ليس شديد الصرامة فى البلاد الأخرى الناطقة بالإنجليزية، أو غيرها.

سؤال: يلوذ الناتو (حلف شمال الأطلنطى) بالصمت إلى أن يكتشف أعضاؤه هل الهجوم كان داخليًا أم خارجيًا، فكيف تفسر ذلك؟

تشومسكى: لا أظن أن هذا هو السبب من وراء تردد الناتو. لا يوجد شك ذو شأن فى أن الهجوم كان "داخليًا"، وأظن أن الأسباب التى حملت الناتو على التردد هى الأسباب التى يعبر عنها الزعماء الأوروبيون علنًا؛ فهم يعرفون كما يعرف أى شخص لديه معرفة وثيقة بالمنطقة [يقصد الشرق الأوسط] أن أى هجوم كبير على شعب مسلم سوف يكون استجابة لصلوات ابن لادن ورفاقه، وسوف يقود الولايات المتحدة وحلفاءها إلى "مصيدة شيطانية" كما عبر عن ذلك وزير الخارجية الفرنسية.

سؤال: هل فى مقدورك أن تقول شيئًا عن التواطؤ ودور العمل السرى الأمريكى؟

تشومسكى: لست أفهم السؤال تمامًا. من المؤكد أن هذا الهجوم كان صدمة عنيفة، كما كان مفاجأة لمؤسسات المخابرات فى الغرب، بما فى ذلك مؤسسات الولايات المتحدة. لقد كان لوكالة المخابرات المركزية دور بالفعل، فى الواقع كان لها دور رئيسى، لكن هذا كان فى الثمانينيات من القرن العشرين، حين اشتركت مع المخابرات الباكستانية وغيرها (السعودية، والبريطانية، إلخ) فى تعبئة من استطاعت العثور عليهم من أشد الأصوليين الإسلاميين تطرفًا، وتدريبهم وتسليحهم؛ كى يقاتلوا "حربًا مقدسة" ضد الغزاة الروس لأفغانستان. وخير مصدر عن هذا الموضوع هو كتاب «حروب غير مقدسة» من تأليف مراسل قضى وقتًا طويلاً فى الشرق الأوسط، هو چون كولى. ومن البديهى أن هناك الآن جهدًا دؤوبًا لتنظيف السجلات، وادعاء أن الولايات المتحدة كانت مشاهدًا بريئًا، وما يدهشنى قليلاً أن صحف محترمة - ناهيك عن غيرها - تقتبس بكياسة عن موظفى وكالة المخابرات المركزية "لإظهار" هذا الاستنتاج المطلوب - وفى هذا خرق فاضح لأبسط أوليات المعايير الصحفية. وبعد انتهاء الحرب، وجه "الأفغان" والكثير منهم ليسوا أفغانًا، مثل ابن لادن، انتباههم إلى أماكن أخرى؛ مثلا إلى الشيشان والبوسنة. وربما تلقوا، على الأقل، تأييدًا ضمنيا من الولايات المتحدة. ولا غرو فى أنهم لاقوا الترحيب من الحكومات. ففى البوسنة، منح الكثيرون من المتطوعين الإسلاميين المواطنة عرفانًا لما قدموه من خدمات عسكرية، كما اتجه بعضهم إلى غرب الصين حيث يحاربون من أجل التحرر من السيطرة الصينية. هناك مسلمون صينيون، على ما يبدو، أرسلت بهم الصين إلى أفغانستان فى وقت بعيد يرجع إلى ١٩٧٨ للانضمام إلى عصابات متمردة ضد الحكومة، وبعد ذلك انضموا إلى القوات التى قامت وكالة المخابرات المركزية بتنظيمها بعد الغزو الروسى فى ١٩٧٩ الذى جاء تأييدًا للحكومة التى ساندتها روسيا - ونصبتها تمامًا مثلما نصبت الولايات المتحدة حكومة فى ڤيتنام الجنوبية، ثم غزتها؛ كى "تدافع" عن البلد الذى كانت تهاجمه! أورد هذا على سبيل التشبيه القريب. وحدث ذلك فى جنوب

الفليبين وشمال أفريقيا ، وفى غير ذلك من البلاد، فهم يقاتلون من أجل القضايا نفسها حسب رأيهم. ومع مطلع التسعينيات التفتوا إلى الولايات المتحدة التى يرى ابن لادن أنها غزت السعودية مثلما غزت روسيا أفغانستان .

سؤال: ما العواقب التى تتنبأ بها بالنسبة لحركة سياتل؟ هل تعتقد أنها سوف تعانى نتيجة لما حدث؟ أم هل من الممكن أن تكتسب قوة دفع؟

تشومسكى: من المؤكد أن ما حدث يعد نكسة للاحتجاجات التى شملت أنحاء العالم ضد العولمة، والتى، مرة أخرى، لم تبدأ فى سياتل. إن مثل هذه الأعمال الإرهابية البشعة تعد هدية تقدم لأكثر العناصر شدة وقمعًا فى جميع الجوانب، ومن المؤكد أن يتم استغلالها - بل إنها قد استغلت فى الواقع - وذلك من أجل الإسراع فى خطة العسكرة والتجييش والرجوع عن البرامج الاجتماعية الديموقراطية، ونقل الثروة لقطاعات ضيقة، وتقليل الديموقراطية فى أى صيغة ذات مغزى. غير أن هذا لن يحدث بدون مقاومة، وأشك فى أن هذا سوف ينجح، إلا على المدى القصير .

سؤال: ما عواقب ذلك بالنسبة للشرق الأوسط؟ على الأخص بالنسبة للصراع الإسرائيلى الفلسطينى؟

تشومسكى: كانت الأعمال البشعة التى وقعت فى الحادى عشر من سبتمبر ضربة قاصمة بالنسبة للفلسطينيين، كما عرفوا ذلك على الفور. ولا تخفى إسرائيل غبطتها "بهذه الفرصة السانحة" التى فتحت أمامها، وعليها الآن أن تحطم الفلسطينيين دون أن تنال أى عقاب. ففى الأيام القليلة التى تلت هجوم ١١/ ٩، دخلت الدبابات الإسرائيلية المدن الفلسطينية مثل جنين، رام الله، وأريحا، لأول مرة، وقتلت عدة عشرات من الفلسطينيين، واشتدت قبضة إسرائيل الحديدية على السكان، تمامًا كما هو متوقع. ومرة أخرى، هذه هى الديناميكيات الشائعة لدائرة من العنف المتصاعد، وهى مألوفة فى كل أنحاء العالم فى أيرلندا الشمالية، وإسرائيل - فلسطين، والبلقان، وغير ذلك من الأماكن.

سؤال: ما رأيك فى رد فعل الأمريكيين؟ بدا أنهم هادئو الأعصاب تماما، ولكن كما قال ساسكيا ساسين مؤخراً فى إحدى المقابلات «نحن نحس بالفعل وكأننا فى حالة حرب» ؟

تشومسكى : كان رد الفعل المباشر هو الصدمة والرعب، والغضب والخوف، والرغبة فى الانتقام، غير أن الرأى العام به مشاعر مختلطة، ولم يكد يمر وقت طويل حتى نشأت تيارات مضادة، بل يمكن التعرف عليها الآن فى التعليقات العامة الجارية فى صحف اليوم، على سبيل المثال.

سؤال : فى إحدى المقابلات مع صحيفة مكسيكية يومية هى لا چورنادا، قلت: إننا نواجه نمطًا جديدًا من الحرب . فماذا كنت تقصد بالضبط؟

تشومسكى : إنه نمط جديد من الحرب للأسباب التى ذكرت إجابة على سؤالك الأول، فالمدافع الآن مصوبة نحو اتجاه مختلف، وهو شىء جديد تمامًا فى تاريخ الغرب، وما تفرع عنه.

سؤال : هل العرب، بالتحديد، أصوليون بالضرورة؟ أى عدو الغرب الجديد؟

تشومسكى : بالطبع لا . فأول كل شىء، لا يوجد شخص يتمتع بأقل قدر من العقلانية يُعرِّف العرب بأنهم "أصوليون" . ليس لدى الولايات المتحدة، والغرب عموما أى اعتراض على الأصولية الدينية بالمعنى المعروف. فالولايات المتحدة، فى واقع الأمر، واحدة من أشد الثقافات الأصولية الدينية المتطرفة فى العالم؛ ولا أعنى بذلك الدولة، وإنما أعنى الثقافة الشعبية . وفى العالم الإسلامى، فإن أشد الدول أصولية، باستثناء طالبان، هى السعودية، وهى دولة [صديقة جدًا] للولايات المتحدة، منذ نشأتها، والطالبان فى حقيقة الأمر، هم فرع من النظرة السعودية للإسلام. وكان الإسلاميون المتطرفون المغالون الذين كثيرًا ما يسمون "الأصوليين" مفضلين لدى الولايات المتحدة فى الثمانينيات من القرن العشرين؛ لأنهم أفضل قتلة يمكن العثور عليهم . ففى تلك السنوات، كانت الكنيسة الكاثوليكية هى العدو الأول للولايات المتحدة، عندما ارتكبت الكنيسة خطيئة فادحة فى أمريكا اللاتينية بتبنى "اختيار تفضيل الفقراء" وعانت معاناة مريرة بسبب هذه الجريمة . والغرب عالمى تمامًا فى اختيار الأعداء، فالمعايير هى الخضوع والإذعان للقوة، وليس للدين، وهناك الكثير من الأمثلة التوضيحية الأخرى.

٢

هل يمكن كسب الحرب ضد الإرهاب

مقابلتان منفصلتان مع هارتفورد كورانت فى عشرين سبتمبر ٢٠٠١،

وديفيد بارسميان فى ٢١ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال: هل حرب الأمة ضد ما يسمى بالإرهاب يمكن الفوز فيها؟ إذا كانت الإجابة نعم، فكيف؟ وإذا كانت لا، فما الذى يجب أن تفعله إدارة بوش لمنع هجمات مثل تلك التى دهمت نيو يورك وواشنطون؟

تشومسكى: إذا ما أردنا النظر جديًا فى هذا السؤال، فيجب أن نقر بأن الولايات المتحدة ينظر إليها، فى معظم أنحاء العالم، بوصفها دولة إرهابية من الطراز الأول، ولهذا أسبابه الوجيهة. ربما يتوجب علينا أن نتذكر، على سبيل المثال، أنه فى ١٩٨٦ أدانت المحكمة الدولية الولايات المتحدة بسبب "الاستخدام غير الشرعى للقوة" . . . إرهاب دولى. ثم استخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الڤيتو) ضد قرار من مجلس الأمن يطلب من جميع الدول، ويعنى الولايات المتحدة الالتزام بالقانون الدولى. وهذا مثال واحد من العديد من الأمثلة. ولكن إذا ما قصرنا الكلام على السؤال الضيق - إرهاب الآخرين الموجه ضدنا - فنحن نعرف تمام المعرفة كيف يجب تناول المشكلة، إذا ما كنا نبغى التقليل من هذا التهديد، بدلاً من تصعيده. فحين انطلقت قنابل الجيش الجمهورى الأيرلندى فى لندن، لم تصدر دعوات بإلقاء القنابل على غرب بلفاست، أو بوستون [فى أمريكا]، وهى مصدر الكثير من الدعم المالى للجيش الجمهورى السرى، بل اتخذت خطوات للقبض على الجناة، وبذلت الجهود للتعامل مع ما يكمن وراء اللجوء للإرهاب. وحين فجر مبنى اتحادى فيدرالى فى مدينة أوكلاهوما، صدرت دعوات لإلقاء القنابل على الشرق الأوسط، وكان من الممكن

أن يحدث ذلك إذا اتضح أن المصدر هناك، وحين اكتشف أنه داخلى، وله صلات بميليشيات أقصى اليمين المتطرف، لم تكن هناك دعوات لمحو مونتانا، وأيداهو، بل تم البحث عن مرتكب هذا العمل، وتم العثور عليه، وقدم للمحاكمة، وحكم عليه، وكانت هناك جهود لفهم الشكاوى أو المظالم التى تكمن وراء مثل هذه الجرائم، والتعامل مع المشكلات. فكل جريمة تقريبًا، سواء كانت سرقة فى الشوارع، أو كانت أعمالاً بشعة، لها أسبابها، وكثيرًا ما نجد أن بعض هذه الأسباب خطيرة، ويجب التعامل معها. وهناك سبل سليمة وقانونية يجب السير بناء عليها فى حالة ارتكاب الجرائم، مهما كان نطاق هذه الجرائم، كما توجد سوابق. والمثال الذى ذكرته توًا يعد مثالاً واضحًا، وهو مثال يجب ألا يثور حوله الجدل؛ بسبب رد فعل أعلى السلطات الدولية. فى الثمانينيات من القرن العشرين، خضعت نيكاراجوا لهجوم عنيف من جانب الولايات المتحدة، ومات عشرات الألوف من الناس، وتم تدمير البلاد تدميرًا كبيرًا، حتى أنها قد لا تعود أبدًا كما كانت، وصحب الهجوم الإرهابى الدولى حرب اقتصادية مدمرة، لا تكاد تتحملها دولة صغيرة تعزلها قوة عظمى قاسية متعطشة للانتقام، كما شرح بالتفصيل أكبر مؤرخى نيكاراجوا «توماس ووكر»، على سبيل المثال. إن آثار ذلك على البلاد أشد قسوة حتى من مأسى نيويورك التى حدثت فى ذلك اليوم، ولم تكن استجابتها هى إطلاق القنابل على واشنطون، هم ذهبوا إلى المحكمة الدولية، التى حكمت لصالحهم، وأمرت الولايات المتحدة بالإحجام عن ذلك، ودفع تعويضات ضخمة، فرفضت الولايات المتحدة هذا الحكم بازدراء، وردت بتصعيد مباشر للهجوم، ثم ذهبت نيكاراجوا إلى مجلس الأمن، الذى نظر فى إصدار قرار يطالب الدول بمراعاة القانون الدولى، فاستخدمت الولايات المتحدة وحدها حق النقض. فذهبوا إلى الجمعية العامة، حيث حصلوا على قرار مشابه، عارضته الولايات المتحدة وإسرائيل لسنتين متتاليتين، انضمت إليهما، فى إحدى المرتين، السلفادور. هذه هى الطريقة التى يجب على أى دولة أن تتبعها، فلو توافرت لنيكاراجوا ما يكفى من القوة، لأمكنها إقامة محكمة جنائية أخرى. وهذه هى الإجراءات التى كان فى استطاعة الولايات المتحدة أن تتبعها، ولن يعرقلها أحد.

وهذا هو ما يطلبه منهم الشعب فى كل أنحاء المنطقة، بما فى ذلك حلفاؤهم. وعليك أن تتذكر، أن حكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مثل حكومة الجزائر الإرهابية، وهى إحدى أشدهم شرًا، سوف يسعدها أن تنضم إلى الولايات المتحدة فى التصدى للشبكات الإرهابية التى تهاجمها. فهى أول المستهدفين. ولكنها تطلب بعض الأدلة، وهى تريد أن تفعل ذلك داخل إطار ولو بأقل قدر من الالتزام بالقانون الدولى. أما الموقف المصرى فهو موقف معقد، فمصر جزء من النظام الرئيسى الذى نظم القوى الإسلامية المتطرفة الذى كانت شبكة ابن لادن جزءًا منه، وكانت أول ضحاياه حين اغتيل السادات، كما كانت من ضحاياه الرئيسيين منذ ذلك الوقت، وتود القضاء على هذه التنظيمات، ولكن، كما يقولون، بعد العثور على بعض الأدلة التى تشير إلى المتورطين، وفى إطار ميثاق الأمم المتحدة، وتحت مظلة مجلس الأمن. وهذا هو الطريق الذى يتبعه المرء إذا كانت النية هى التقليل من احتمال وقوع المزيد من هذه الأعمال البشعة. وهناك طريق آخر هو رد الفعل على العنف البالغ، ويتوقع منه التصعيد فى دائرة العنف؛ مما يؤدى إلى المزيد من الأعمال البشعة، مثل ذلك الطريق الذى يحث على الدعوة للانتقام. فدينامكية الحركة فى ذلك شىء مألوف.

سؤال: ما الجانب أو الجوانب التى لم تلق تغطية صحفية بواسطة الصحف المهمة؟ وما السبب فى أن هذه الجوانب يجب أن تلقى المزيد من الانتباه؟

تشومسكى: هناك العديد من الأسئلة الجوهرية.

أولا: ما طرق الفعل المفتوحة أمامنا، وما عواقبها المحتملة؟ لم تكن هناك، تقريبًا، أى مناقشة لخيار الالتزام بالقانون الدولى، كما يفعل الآخرون، كنيكارجوا، على سبيل المثال، التى ذكرتها توًا والتى فشلت بالطبع، ولكن لن يقف أحد فى وجه مثل هذه التحركات من جانب الولايات المتحدة. أو كما فعلت إنجلترا فى حالة الجيش الجمهورى السرى، أو كما فعلت الولايات المتحدة حين وجدت أن إلقاء القنابل على مدينة أوكلاهوما كان عملاً داخليًا أصلاً. وهناك من الحالات ما لا حصر له، وبدلا من ذلك، هناك - حتى الآن - دق للطبول التى تدعو لرد الفعل العنيف، ونادرًا ما تذكر أن هذا لن ينتج عنه سوى خسائر فادحة لضحايا أبرياء

تمامًا، كثير منهم أفغان من ضحايا الطالبان، وإن هذا سوف يكون استجابة لأحر دعوات ابن لادن، وشبكته.

والسؤال الثانى هو "لماذا" ونادرا ما يثار هذا السؤال على نحو جاد. إن رفض مواجهة هذا السؤال يعنى اختيار احتمال زيادة الجرائم من هذا النوع زيادة كبيرة. كانت هناك بعض الاستثناءات. فكما ذكرت سابقًا، لقد قامت صحيفة الوول ستريت چورنال، ولها الفضل فى ذلك، باستطلاع آراء "المسلمين الأثرياء" المؤيدين لأمريكا، ولكنهم شديدو الانتقاد لسياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، لأسباب معروفة لأى شخص يعير أى قدر من الانتباه. إن المشاعر فى الشارع متشابهة، وإن كانت أشد مرارة وغضبًا. أما شبكة ابن لادن نفسها، فتقع فى فئة مختلفة، بل إن أعمالها، على مدى عشرين سنة تسببت فى الضرر الشديد للفقراء والمقهورين فى المنطقة، والذين لا يهمون الشبكات الإرهابية - وإنما هم ينهلون من مخزون من الغضب والخوف واليأس، ولهذا السبب هم يدعون الله من أجل رد فعل عنيف من جانب الولايات المتحدة، فهذا سوف يعبئ آخرين من أجل قضيتهم الشنيعة - مثل هذه الموضوعات يجب أن تحتل الصفحات الأولى، على الأقل إذا ما كنا نرغب فى التقليل من دائرة العنف، بدلاً من تصعيدها.

* * *

٣

الحملة الأيديولوجية

مقابلات منفصلة مع راديو ب. ٩٢ [بلجراد] في ١٨ سبتمبر، ٢٠٠١، والبز فريد وبيتر كريزلر لراديو دويتشلاندهونك [ألمانيا] في ٢٠ سبتمبر، ٢٠٠١، وباولا ليوني لجورنال ديل بوبولو [سويسرا] في ٢١ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال: ما رأيك في تغطية وسائل الإعلام لهذا الحادث؟ هل هناك تواز مع حرب الخليج في "صناعة الموافقة"؟

تشومسكي: ليست التغطية الإعلامية بهذا التطابق الذي يبدو أن الأوروبيين يظنونه، وربما يرجع هذا إلى حرصهم على الاطلاع على النيو يورك تايمز والناشيونال پابليك راديو (الإذاعة العامة الوطنية) والتلفزيون وما إلى ذلك. بل إن النيو يورك تايمز أقرت هذا الصباح، بأن الاتجاهات في نيو يورك ليست تمامًا مثل تلك التي ينقلونها. وهذه قصة جيدة، تشير بوضوح، إلى أن وسائل الإعلام الجارية لم تكن تنقل ذلك، وهو ليس صحيحًا على إطلاقه، مع أنه صحيح إلى حد بعيد بالنسبة للنيويورك تايمز. تقول التايمز الآن إن: "دق طبول الحرب . . . لا يكاد يسمع في شوارع نيو يورك" وأن نداءات السلام "تفوق إلى حد كبير المطالبة بالقصاص." حتى عند الباب الخارجي "لإحياء ذكرى الخسارة والحزن" لضحايا تلك الأعمال البشعة. في الواقع، ليس هذا أمرًا غير عادي في البلاد. من المؤكد أن هناك عاطفة إجماعية، نشترك فيها جميعًا، من أجل التعرف على الجناة ومعاقبتهم، إن أمكن العثور عليهم. غير أني أعتقد أنه من المحتمل أن هناك عاطفة لدى الغالبية ضد الضرب عشوائيا وقتل الكثير من الأبرياء. غير أن وسائل الإعلام الكبرى وطبقة المفكرين عمومًا، دأبت دائمًا على رص الصفوف تأييدًا للقوة في وقت الأزمات، ومحاولة تعبئة الناس من أجل القضية نفسها. لقد كان هذا

صحيحًا، وبهيستيريا حادة تقريبًا، فى وقت قصف الصرب. ولم تكن حرب الخليج غير عادية بأى حال. فهذا النمط ضارب فى التاريخ.

سؤال: إذا ما افترضنا أن الإرهابيين قد اختاروا مركز التجارة العالمى كهدف رمزى، كيف تساعد العولمة والهيمنة الثقافية على خلق الكراهية لأمريكا؟

تشومسكى: إن هذا اعتقاد ملائم للغاية للمفكرين الغربيين. فهو يحلهم من المسئولية عن الأعمال التى تكمن بالفعل وراء اختيار مركز التجارة العالمى. فهل ألقيت القنابل عليه عام ١٩٩٣ بسبب القلق من العولمة والهيمنة الثقافية؟. وهل أغتيل السادات منذ ٢٠ سنة بسبب العولمة؟ وهل بسبب العولمة والهيمنة قاتل الأفغان - فى القوات التى كانت تدعمها وكالة المخابرات المركزية - قاتلوا روسيا فى أفغانستان أو الشيشان الآن؟ منذ بضعة أيام تحدثت الوول ستريت چورنال عن اتجاهات المصريين الأثرياء وأصحاب الامتيازات الذين كانوا فى أحد مطاعم مكدونالدز، يرتدون ملابس أمريكية على أحدث طراز، إلخ. وكانوا ينتقدون الولايات المتحدة بمرارة لأسباب سياسية موضوعية، وهى أسباب معروفة جيدًا للذين يريدون أن يعرفوا. لقد تلقت الصحيفة تقريرًا قبل ذلك بقليل عن الأثرياء وأصحاب النفوذ فى المنطقة. وجميعهم مؤيدون لأمريكا، وينتقدون سياسات الولايات المتحدة نقدًا عنيفًا، هل كان ذلك بسبب القلق من "العولمة" ومكدونالدز والجينز؟ الاتجاهات فى الشارع متشابهة، وإن كانت أشد حدة، ولكنها ليست لها علاقة بهذه المبررات الرائجة. فهذه المبررات ملائمة للولايات المتحدة والغرب. ولنقتبس ما جاء فى المقال التحليلى الرئيسى الذى جاء فى النيو يورك تايمز ١٦ سبتمبر "لقد فعل الجناة ما فعلوه من منطلق الكراهية للقيم التى يعتز بها الغرب، مثل الحرية والتسامح والرفاهية والتعددية الدينية وحق الانتخاب للجميع." إن تصرفات الولايات المتحدة مناسبة؛ لذا ليس هناك داع حتى لذكرها (سيرج شميمان) وهذه صورة مريحة، وهذا الموقف العام مألوف فى التاريخ الفكرى؛ بل إنه فى الواقع قريب من المعيار المعتاد. كل ما حدث أنه مختلف تمام الاختلاف عن كل ما نعرف! لكنه يتمتع بجميع مزايا إطراء الذات والتأييد المطلق لاستخدام القوة دون سؤال، كما أن خطأ تبنى هذا الموقف يسهم إسهامًا كبيرًا فى احتمال حدوث المزيد من الأعمال البشعة، بما فى ذلك الأعمال الموجهة ضدنا، وربما كانت أعمالاً أشد بشاعة من تلك التى وقعت فى ١١ / ٩ .

أما عن شبكة ابن لادن، فإنهم لا يهتمون كثيرًا بالعولمة والهيمنة الثقافية بقدر

اهتمامهم بالفقراء والمظلومين فى الشرق الأوسط على مدى سنوات. وهم يخبروننا بما يقلقهم بوضوح وبصوت مرتفع، إنهم يجاهدون ضد الأنظمة الفاسدة القمعية "غير الإسلامية" فى المنطقة. كما أنهم يجاهدون ضد من يقف وراء تلك الأنظمة، تمامًا كما جاهدوا ضد الروس فى الثمانينيات من القرن العشرين، ويفعلون الآن فى الشيشان وغرب الصين ومصر - فى هذه الحالة منذ ١٩٨١، حين اغتالوا السادات - وفى غير ذلك من الأماكن، بل إن ابن لادن نفسه ربما لا يكون قد سمع قط عن "العولمة". فالذين أجروا معه مقابلات معمقة، مثل روبرت فيسك، يقولون إنه لا يعرف أى شىء تقريبًا عن العالم، كما أنه لا يعبأ بذلك أيضًا. يمكننا أن نختار تجاهل جميع الحقائق ونركن إلى الأوهام إذا شئنا، غير أن ذلك سيكون مخاطرة كبرى فى حق أنفسنا، نحن وغيرنا. كما يمكننا أن نتجاهل من بين أشياء أخرى، إن شئنا، جذور الأفغان، من أمثال ابن لادن ورفاقه، ليس هذا سرا.

سؤال: هل الشعب الأمريكى متعلم بحيث يرى ذلك؟ هل هناك وعى بالسبب والنتيجة؟

تشومسكى: للأسف لا، تمامًا مثل الأوروبيين. إن الشىء البالغ الأهمية بالنسبة للعناصر المتميزة فى الشرق الأوسط - حتى رجل الشارع على نحو أكبر - يكاد لا يفهم هنا، وأوضح الأمثلة على ذلك سياسات الولايات المتحدة المتناقضة نحو العراق واحتلال إسرائيل العسكرى. فهم يرون أن سياسة الولايات المتحدة فى العراق على مدى العشر سنوات الماضية قد دمرت المجتمع المدنى، فى حين أنها قد قوّت من صدام حسين - الذى كما يعرفون قد أيدته الولايات المتحدة بقوة فى أشد أعماله بشاعة، بما فى ذلك قتل الأكراد بقنابل الغاز عام ١٩٨٨ - غير أن الغربيين يفضلون رواية أخرى. وحين يذكر ابن لادن هذه النقاط فى إذاعات تسمع فى كل أنحاء المنطقة، فإن مستمعيه حتى أولئك الذين يمقتونه يتفهمون ذلك، هم والكثيرون غيرهم. ونادراً ما تذكر أهم الحقائق عن الولايات المتحدة وإسرائيل، وتكاد لا تعرف على مستوى العالم، وعلى الأخص بالنسبة للنخبة من المفكرين. والناس فى المنطقة، بالطبع لا ينعمون بالأوهام المريحة السائدة فى الولايات المتحدة التى تتحدث عن العروض "السخية" "الضخمة" التى قدمت فى كامب ديفيد فى صيف ٢٠٠٠، ناهيك عن غير ذلك من الأساطير التى يفضلها الغرب. هناك الكثير مما كتب عن هذا الموضوع، وهى كلها عن مصادر موثقة، لا يرقى إليها الشك، غير أنه لا يكاد يعرف.

سؤال: ما رأيك فى رد فعل الحكومة الأمريكية؟ ومن الذين تمثل الحكومة إرادتهم؟

تشومسكى: تستجيب حكومة الولايات المتحدة، كغيرها لمراكز القوة الداخلية المركزة. ويجب أن يكون هذا أمراً بديهيًا. هناك بالطبع، مؤثرات أخرى، بما فى ذلك التيارات الشعبية، ويصدق هذا على جميع المجتمعات، حتى النظم الشمولية القاسية، ومن المؤكد أنه يصدق على المجتمعات الأكثر ديموقراطية. وبقدر ما لدينا من معلومات، فإن حكومة الولايات المتحدة تحاول الآن استغلال الفرصة لتنفيذ جدول الأعمال الخاص بها: العسكرة، بما فى ذلك "الدفاع الصاروخى" والكلمات الشفرية لعسكرة الفضاء؛ والإقلال من شأن البرامج الاجتماعية الديموقراطية؛ وكذلك تخفيض القلق من آثار "العولمة" أو القضايا البيئية، أو التأمين الصحى، وما إلى ذلك؛ ومأسسة أو تثبيت الإجراءات التى تقوى من انتقال الثروة للقلة القليلة، مثلاً رفع الضرائب عن الشركات الضخمة المندمجة، وتشطير المجتمع بما يسمح بالقضاء على النقاش العام، والاحتجاج. وكل هذا عادى وطبيعى تمامًا. أما عن الاستجابة، فأنا أظن أنهم يستمعون إلى القادة الأجانب والمتخصصين فى شئون الشرق الأوسط، وكذلك وكالات مخابراتهم ـ على ما أعتقد ـ التى تحذرهم من أن الرد العسكرى القوى سوف يكون استجابة لدعوات ابن لادن. ولكن هناك عناصر متشددة تريد أن تستخدم هذه المناسبة للانقضاض على أعدائها، بأقصى درجات العنف، بغض النظر عن الأبرياء الذين سوف يعانون من جراء ذلك، ومنهم أناس هنا وفى أوروبا ممن سيكونون ضحايا دائرة العنف المتصاعدة. ومرة أخرى كل هذا يتم بدينامية شديدة الألفة والاعتياد؛ إذ أن هناك الكثير من أمثال ابن لادن فى الجانبين، كالمعتاد.

سؤال: لقد نشرت العولمة الاقتصادية النموذج الغربى فى كل أنحاء العالم، وكانت الولايات المتحدة هى أول من أيدها، وأحيانًا ما كان ذلك بوسائل موضع تساؤل؛ إذ كثيراً ما يكون ذلك عن طريق الاستهانة بالثقافات المحلية. فهل نحن نواجه تبعات العقود الأخيرة من السياسة الاستراتيجية الأمريكية؟ هل أمريكا ضحية بريئة؟

تشومسكى: كثيراً ما تثار هذه الفكرة، وأنا لا أوافق على ذلك. ومن بين الأسباب، أن النموذج الغربى ـ وعلى الأخص نموذج الولايات المتحدة ـ قائم على

تدخل الدولة الكبير فى الاقتصاد. ذلك أن "القواعد الليبرالية الجديدة" مثل قواعد الحقب السابقة؛ إذ أنها ذات حدين: فانضباط السوق طيب بالنسبة لك، لكنه ليس كذلك بالنسبة لى، إلا إذا كان ذلك من أجل مزية مؤقتة، حين أكون فى وضع طيب يمكننى من الفوز فى المنافسة. ثانيًا: أن ما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر ليست له علاقة تقريبًا بالعولمة الاقتصادية، حسب رأيى. فالأسباب تكمن فى مكان آخر. إذ ليس هناك ما يبرر جرائم مثل تلك التى وقعت فى الحادى عشر من سبتمبر، غير أننا يمكننا أن نفكر فى الولايات المتحدة كـ "ضحية بريئة" فقط إذا ما سلكنا السبيل الملائم فى تجاهل سجل أعمالها وأعمال حلفائها، وهو فى نهاية الأمر، ليس سرًا.

سؤال. يتفق الجميع على أن الأمور لن تعود كما كانت بعد١١/ ٩، ابتداء من تقييد الحقوق فى الحياة اليومية إلى استراتيجية عالمية مع تحالفات جديدة وأعداء جدد. فما رأيك فى ذلك؟

تشومسكى: لا أظن أن ما حدث سوف يؤدى على المدى الطويل إلى تقييد للحريات داخليًا على نحو جاد. ذلك أن الحواجز الثقافية والمؤسسية التى تحول دون ذلك شديدة التأصل على ما أعتقد. وإذا رأت الولايات المتحدة أن تجيب بتصعيد دائرة العنف، وهو ما يتمناه ابن لادن وشركاؤه، فى أكبر الاحتمالات، عندئذ سوف تكون العواقب مرعبة. هناك، بالطبع، طرق أخرى مشروعة وبناءة، وهناك الكثير من السوابق على ذلك؛ إذ يمكن للجمهور المتيقظ داخل المجتمعات الأكثر ديموقراطية وتحررًا أن يدير السياسات التى تؤدى إلى المزيد من الإنسانية والكرامة.

سؤال: لم تتمكن المخابرات التى تغطى العالم بأسره، وكذلك نظم المراقبة الدولية (إيشلون على سبيل المثال) من أن تتنبأ بما سيحدث، على الرغم من أن شبكة الإرهاب الإسلامى الدولية لم تكن مجهولة. كيف يمكن أن تكون أعين الرقباء الإخوة الكبار الزعماء مغمضة؟ وهل علينا أن نخشى، الآن، أخًا كبيرًا أكثر ضخامة؟

تشومسكى: بصراحة، لم أكن مبهورا قط أكثر من اللازم بما يذاع عن قلق أوروبا من نظام المراقبة «إيشلون» بوصفه نظامًا للتجسس. أما عن أجهزة المخابرات المنتشرة فى أنحاء العالم، فإن إخفاقاتها عبر السنين كانت ضخمة، وهو أمر أخذت أنا وغيرى نكتب عنه، ولا أستطيع متابعة الكلام عنه فى هذا المجال. ويصدق هذا حتى حين تكون أهداف الانشغال أسهل جدا فى التعامل معها من التعامل مع شبكة

ابن لادن، والتى هى بلا شك شديدة اللامركزية وتفتقر إلى التركيب الهرمى التدرجى، وتتوزع فى الكثير من أنحاء العالم بحيث يصبح اختراقها شديد الصعوبة. ولاشك فى أن أجهزة المخابرات سوف تعطى الموارد؛ كى تشدد من محاولاتها. غير أن الجهد الجاد اللازم للتقليل من تهديد من هذا النوع من الإرهاب، يتطلب، كما حدث فى حالات لا تعد، جهداً لفهم الأسباب والتعامل معها.

سؤال: ابن لادن الشيطان، هل هذا عدو؟ أم أنه، بالأحرى، صنف، نوع من الشعار يحدد أو يشخص الشر؟

تشومسكى: قد يكون ابن لادن متورطًا مباشرة فى هذه الأفعال، وقد لا يكون، ولكن الأكثر احتمالاً أن الشبكة التى كان شخصية رئيسية فيها ـ أى القوات التى أنشأتها الولايات المتحدة وحلفاؤها لخدمة أغراضها الخاصة، وساندت هذه القوات طالما كانت تخدم هذه الأغراض ـ هى المتورطة. من الأسهل كثيراً تشخيص العدو بوصفه رمز الشر كل الشر، من السعى إلى فهم ما يكمن وراء الأعمال البشعة الكبرى. وهناك، بالطبع إغراءات قوية جداً لأن يتجاهل المرء دوره ـ الذى هو، فى هذه الحالة، ليس من الصعب اكتشافه ـ، بل هو مألوف لأى شخص لديه إدراك بهذه المنطقة (يقصد الشرق الأوسط وتاريخها الحديث).

سؤال. هل توجدمخاطرة بأن تصبح هذه الحرب ڤيتنام أخرى؟

تشومسكى: ما زالت الصدمة حية، وكثيراً ما يثار هذا التشبيه، وهو يكشف، فى رأيى، الأثر العميق للعديد من سنوات العنف الإمبريالى على ثقافة الغرب الفكرية والمعنوية. بدأت الحرب فى ڤيتنام كهجوم من جانب الولايات المتحدة ضد ڤيتنام الجنوبية، التى كانت دائما الهدف الرئيسى لحروب الولايات المتحدة، وانتهت بتدمير قسم كبير من الهند الصينية. ما لم نكن مستعدين لمواجهة هذه الحقيقة المبدئية، لن نستطيع أن نتحدث بجدية عن حرب ڤيتنام، صحيح أنه قد اتضح أن الحرب مكلفة للولايات المتحدة، رغم أن الأثر الذى أحدثته على الهند الصينية أشد رعبًا مما لا يدع مجالا للمقارنة، وكذلك أثبتت الحرب الأفغانية أنها مكلفة بالنسبة لاتحاد الجمهوريات السوڤييتية الاشتراكية، لكن هذه ليست هى المشكلة التى تأتى فى المقدمة حين نفكر فى تلك الجريمة.

* * *

٤

جرائم الدولة

مقتطفات من مقابلة مع ديفيد بارسيميان فى ٢١ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال: كما تعلم، هناك حنق وغضب وحيرة فى الولايات المتحدة منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ولقد وقعت جرائم قتل وهجمات على المساجد، بل حتى على معبد سيخى. إن مدينة بولدر تتمتع بسمعة ليبرالية، وتوجد لافتة فى جامعة كولورادو التى تقع فى تلك المدينة تقول: "عودوا إلى بلادكم، أيها العرب" "اقصفوا أفغانستان بالقنابل" "عودوا إلى بلادكم، يا زنوج الرمال" فما منظورك لما نشأ منذ الهجوم الإرهابى؟

تشومسكى: إنه شعور مختلط. ما تصفه يوجد بالتأكيد. ومن ناحية أخرى، هناك اتجاهات مضادة، فى الأماكن التى لى بها اتصال مباشر، أعلم أن هذه الاتجاهات موجودة، وأسمع الشىء نفسه من آخرين. هذا نوع آخر من التيارات، يؤيد الناس الذين يستهدفون هنا؛ لأن بشرتهم سمراء أو أن لهم أسماء عجيبة. فهناك تيارات متضادة، والسؤال هو: ما الذى نستطيع أن نفعله؛ كى نجعل الاتجاهات الصحيحة تسود؟

سؤال: هل تعتقد أن الدخول فى تحالفات مع أفراد يسمون "شخصيات غير مستساغة" من قبيل تجار المخدرات، والقتلة؛ لتحقيق ما يقال إنه غاية نبيلة، أمر معضل؟

تشومسكى: عليك أن تتذكر أن بعض الشخصيات الأقل استساغة توجد فى حكومات المنطقة، كما توجد فى حكومتنا، وحكومات حلفائنا. فإذا كنا جادين،

فعلينا أن نسأل أيضًا، ما هى الغاية النبيلة؟ هل كان من قبيل الغاية النبيلة أن نزج بالروس فى "فخ أفغانى" فى عام ١٩٧٩، كما يزعم زيجينو بريزنيسكى أنه فعل؟ ذلك أن مساندة المقاومة ضد الغزو الروسى فى ديسمبر ١٩٧٩ شىء، ولكن الحث على الغزو، كما يزعم بريزنيسكى بزهو، وكذلك تنظيم جيش إسلامى من المتعصبين الإسلاميين من أجل تحقيق أغراضك، شىء مختلف. وثمة سؤال آخر يجب أن نطرحه الآن: ماذا عن التحالف الذى يتم تكوينه، والذى تحاول الولايات المتحدة أن تجمعه؟ علينا ألا ننسى أن الولايات المتحدة نفسها فى أوائل الدول الإرهابية. وماذا عن التحالف بين الولايات المتحدة وروسيا، والصين وإندونيسيا ومصر والجزائر، وكلها سوف تُسَر؛ إذ ترى نظامًا دوليًا ينشأ وترعاه الولايات المتحدة، يسمح لها بتنفيذ فظائعها الإرهابية. فروسيا، على سبيل المثال، سوف يسعدها جدا أن تحصل على مساندة الولايات المتحدة فى حربها الإجرامية فى الشيشان. فلديك الأفغان أنفسهم يقاتلون ضد روسيا، ومن المحتمل، أيضا، أن ينفذوا أعمالاً إرهابية فى روسيا. كما يمكن أن تفعل الهند فى كشمير. وربما يسر إندونيسيا أن تحصل على الدعم فى مذابحها فى آتشى. والجزائر، كما أعلنت توا فى الإذاعة التى سمعناها، سوف يبهجها أن تحصل على تفويض بأن تتوسع فى إرهاب الدولة الخاص بها. والشىء نفسه ينطبق على الصين التى تقاتل ضد القوات الانفصالية فى أقاليمها الغربية، وفيها "أفغان" نظمتهم الصين وإيران للقتال فى الحرب ضد الروس، ابتداء ربما من ١٩٧٨، كما تشير بعض التقارير. ويسرى هذا عبر العالم. لن يسمح لأى أحد بأن يدخل هذا الائتلاف بسهولة، مع ذلك فعلينا فى نهاية الأمر، أن نحتفظ بمعايير. "لقد حذرت إدارة بوش فى ستة أكتوبر من أن حزب ساندينيستا اليسارى فى نيكاراجوا، الذى يأمل فى العودة للسلطة بانتخابات فى الشهر القادم، قد احتفظ بروابط "مع دول وتنظيمات إرهابية؛ لذا "لا يمكن الاعتماد عليه فى مساندة الائتلاف الدولى ضد الإرهاب الذى تحاول الإدارة أن تشكله [چورچ جدّار إيه. پى/ ٦ أكتوبر] كما سبق أن ذكرنا، لا توجد منطقة وسطى بين أولئك الذين يعارضون الإرهاب وأولئك الذين يساندونه" كما أعلنت متحدثة وزارة الخارجية الأمريكية، إليزاكوش. ورغم أن الساندينيستا زعموا أنهم قد "تخلوا عن السياسات الاشتراكية

والخطاب المعادى لأمريكا الذى كان يطلق فى الماضى، إلا أن بيان كوش فى ٦ أكتوبر، أشار إلى أن الإدارة لديها شكوك فى مزاعم الاعتدال. ومن الممكن فهم شكوك واشنطون. فنيكاراجوا، فى نهاية الأمر، دأبت على مهاجمة الولايات المتحدة بشكل مهين، جعل رونالد ريجان يضطر إلى الإعلان عن "طوارئ قومية" فى ١ مايو، ١٩٨٥، تتجدد سنويًا؛ لأن "سياسات حكومة نيكاراجوا وأفعالها تشكل تهديدا غير عادى وشاذ للولايات المتحدة وأمنها القومى وسياساتها الخارجية" كما أعلن حظرًا ضد نيكاراجوا "ردا على الموقف الطارئ الذى خلقته الأنشطة العدوانية لحكومة نيكاراجوا فى أمريكا الوسطى." أى مقاومتها لهجوم الولايات المتحدة! ورفضت المحكمة الدولية مزاعم الولايات المتحدة بممارسة أنشطة أخرى بوصفها مزاعم لا أساس لها. قبل ذلك بعام، كان ريجان قد حدد ١ مايو بأنه "يوم القانون" احتفالاً بـ "الشراكة التى يبلغ عمرها ٢٠٠ عام بين القانون والحرية" عندنا، مضيفًا أنه بدون القانون لن يسود سوى "الفوضى والاضطراب" وفى اليوم السابق، احتفل بيوم القانون بأن أعلن أن الولايات المتحدة سوف تغض النظر عن إجراءات المحكمة الدولية التى ذهبت إلى إدانة إدارته بسبب "استخدامها غير المشروع للقوة" وانتهاكها للمعاهدات فى هجومها ضد نيكاراجوا، الذى تصاعد فورا، ردا على أمر المحكمة بإنهاء جريمة الإرهاب الدولى. وخارج الولايات المتحدة، يعد الأول من مايو، بالطبع، يومًا للتضامن مع نضال العمال الأمريكيين! ومن المفهوم، إذن، أن تسعى الولايات المتحدة للحصول على ضمانات أكيدة على حسن السلوك بالسماح لنيكاراجوا تحت قيادة الساندينيستا بالانضمام إلى تحالف العادلين الذى تقوده واشنطون، والذى يرحب الآن بالآخرين؛ كى ينضموا إلى الحرب التى تشنها ضد الإرهاب منذ ٢٠ سنة مثل روسيا والصين وإندونيسيا وتركيا وغيرها من الدول الصالحة، وليس أى أحد بالطبع. أو فلنأخذ "تحالف الشمال" الذى تسانده الولايات المتحدة وروسيا معًا، الآن. وهذا تجمع من أمراء الحرب قاموا بإنزال الدمار والإرهاب إلى درجة جعلت معظم السكان يرحبون بالطالبان! وفوق ذلك، فهم تقريبًا متورطون فى تمرير المخدرات إلى طاچيكستان. فهم يتحكمون فى معظم هذه الحدود، ويقال إن

طاچيكستان، محطة رئيسية، ربما المحطة الرئيسية لتدفق المخدرات فى نهاية المطاف إلى أوروبا والولايات المتحدة. فإذا تقدمت الولايات المتحدة للانضمام إلى روسيا فى تسليح هذه القوات تسليحًا ثقيلاً وشن بعض الهجمات انطلاقًا منها، فمن المحتمل أن يزداد انتقال المخدرات، فى ظل الظروف التى تلى ذلك من فوضى ومن فرار للاجئين. "فالشخصيات غير السائغة" فى نهاية الأمر، مألوفة، بناء على سجل تاريخى حافل، وكذلك الأمر بالنسبة "للغايات النبيلة"!

سؤال: ربما يحس الكثير من الأمريكيين بالذهول من تعليقك بأن الولايات المتحدة "من أوائل الدول الإرهابية." فهل لك أن تتوسع فى شرح هذه النقطة؟

تشومسكى: إن أوضح الأمثلة على ذلك، وإن لم يكن أشد الحالات، بأى حال، هو نيكاراجوا. فهى أوضح الحالات؛ لأنها ليست موضع خلاف، على الأقل بالنسبة لمن لديهم أقل اهتمام بالقانون الدولى. وجدير بنا أن نتذكر أن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى أدانتها المحكمة الدولية لممارسة الإرهاب الدولى، وهى التى رفضت قرارًا صادرًا عن مجلس الأمن يطالب الدول بمراعاة القانون الدولى. علينا أن نتذكر ذلك خاصة أنه تم كتمه باستمرار. وتستمر الولايات المتحدة فى ممارسة الإرهاب الدولى. وهناك أيضًا أمثلة تعد تافهة إذا ما قورنت بغيرها. فالجميع هنا أحسوا بالغضب الشديد-عن حق-بسبب حدث مدينة أوكلاهوما. وكانت عناوين الصحف على مدى يومين تقول: مدينة أوكلاهوما تشبه بيروت! ولم أر أحدًا يشير إلى أن بيروت أيضًا تشبه أوكلاهوما! وأن جزءًا من السبب هو أن إدارة ريجان أطلقت العنان لقصف إرهابى هناك عام ١٩٨٥، كان شديد الشبه بانفجار أوكلاهوما؛ إذ حدث هناك تفجير شاحنة خارج أحد المساجد، وكانت موقوتة بحيث تقتل أكبر عدد من الناس أثناء مغادرتهم للمسجد، وقتلت ثمانين شخصًا، وجرحت ٢٥٠ معظمهم من النساء والأطفال، طبقًا لتقرير نشر فى الواشنطون پوست بعد ذلك بثلاثة أعوام. كان التفجير الإرهابى موجهًا ضد رجل دين مسلم لم يرق لهم، ولم يطالوه. ولم يكن هذا سرًا من الأسرار. ولست أدرى ما الاسم الذى تطلقه على السياسات التى تعد عاملاً

رئيسيًا فى وفاة ما يقرب من مليون من المدنيين فى العراق، وما يقرب من نصف مليون طفل، وهو الثمن الذى يقول وزير الخارجية إننا على استعداد لدفعه. هل هناك اسم لذلك؟ وتأييد الفظائع الإسرائيلية مثال آخر. كما أن تأييد سحق تركيا لسكانها من الأكراد، وهو الذى منحته إدارة كلينتون الدعم الحاسم؛ إذ قدمت إدارة كلينتون ثمانين فى المائة من الأسلحة مع تصاعد الأعمال البشعة. وكان ذلك، بحق، عملاً مريعًا. فهو واحد من أسوأ حملات التطهير العرقى والدمار فى التسعينيات من القرن العشرين. غير أنه لا يكاد يعرف بسبب مسئولية الولايات المتحدة عنه. وحين يأتى شخص غير مهذب فيثيره، فإن الموضوع يتم غض النظر عنه بوصفه "غلطة" صغرى. على درب إخلاصنا العام من أجل القضاء على "انعدام الإنسانية" فى كل مكان. أو فلنأخذ تدمير مصنع الشفاء للصناعات الدوائية فى السودان، وهو مجرد هامش صغير فى سجل إرهاب الدولة، سرعان ما تم نسيانه. ماذا عساه أن يكون رد الفعل إذا ما فجرت شبكة ابن لادن نصف المؤن الدوائية فى الولايات المتحدة؟ وكذلك المرافق اللازمة لتعويضها؟ رغم أن المقارنة غير عادلة، إلا أننا فى مقدورنا أن نتصور ذلك؛ إذ أن التبعات أشد ضراوة فى السودان، إذا ما نحينا هذا الاعتبار جانبًا، فلو أن الولايات المتحدة أوإسرائيل أو إنجلترا استهدفت بمثل هذا العمل البشع، فماذا يمكن أن يكون رد الفعل فى هذه الحالة؟ هل نقول خطأ صغير، فلننتقل للموضوع التالى، وليتعفن الضحايا! إن غيرنا فى العالم لا يكون رد فعلهم كذلك. وعلى الرغم من أن حالة السودان، مجرد هامش فى السجل، إلا أنها مع ذلك، تعلمنا الكثير. ومن بين تلك الأشياء التى نتعلمها رد الفعل الذى يحدث حين يجترئ أى شخص على ذكر تلك الحالة. لقد ذكرتها فى الماضى، وفعلت ذلك مرة أخرى ردًا على تساؤلات الصحفيين بعد الأعمال التى وقعت فى ١١/ ٩ بوقت قصير. قلت: إن عدد الوفيات نتيجة "الجريمة الشنيعة" فى ١١/ ٩، التى ارتكبت "بقسوة مرعبة شريرة" اقتباسًا من روبرت فيسك، يمكن مقارنته بعواقب قصف كلينتون لمصنع الشفاء فى أغسطس ١٩٨٨. فجر هذا الاستنتاج المعقول رد فعل غير عادى، بحيث ملأ الكثير من مواقع شبكة المعلومات والصحف بالاستنكار المحموم الذى لا يصدق. وسوف

أتجاهل هذا كله . ذلك أن الجانب الوحيد المهم هو أن الجملة الوحيدة التى تبدو تعبيراً مخففًا عند التدقيق فيها ، قد اعتبرها بعض المعلقين كلامًا فاضحًا . من الصعب تجنب الوصول إلى استنتاج بأنهم قد يكرون ذلك بينهم وبين أنفسهم ، ذلك أنهم يعدون جرائمنا ضد الضعفاء شيئًا عاديًا كالهواء الذى نتنفسه . فالجرائم التى نسأل عنها كدافعى ضرائب ، هى التقصير فى دفع التعويضات ومنح الملجأ والحصانة للمذنبين ، والسماح للحقائق الفظيعة بأن تغوص عميقًا فى مقبرة الذاكرة . كل هذا عظيم الأهمية كما كان الحال فى الماضى . أما عن نتائج تدمير مصنع الشفاء ، فليس لدينا سوى تقديرات . لقد سعت السودان كى تجرى الأمم المتحدة تحقيقًا فى مبررات القصف ، لكن حتى هذا عرقلته واشنطون ، ويبدو أن القليلين حاولوا التحقيق فى ما وراء ذلك ، لكن من المؤكد أننا يجب أن نفعل هذا .

وقد يكون من الواجب أن نعيد للذاكرة بعض البديهيات النسبية ، على الأقل بين من لديهم أقل اكتراث بحقوق الإنسان ، حين نقدر الخسائر البشرية الناتجة عن جريمة ، لا نعد فقط من ماتوا ، فى الحال ، بالمعنى الحرفى للكلمة ، وإنما من ماتوا نتيجة لهذه الجريمة . هذا هو النهج الذى نتبعه تلقائيًا ، وبشكل ملائم ، حين نتدبر الجرائم التى يرتكبها الأعداء الرسميون ـ مثل ستالين وهتلر وماو ، إذا ما ذكرنا أكثر الحالات تطرفًا . هنا نحن لا ننظر إلى الجريمة وقد خفف من وطأتها أنها لم تكن متعمدة ، وإنما على أنها نتيجة تفكير هياكل عقائدية مؤسسية . فإذا أخذنا حالة متطرفة ، فإن المجاعة التى حدثت فى الصين من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١ لا نغض الطرف عنها على أساس أنها كانت " غلطة " وأن ماو لم " يقصد " أن يقتل عشرات الملايين من البشر . لا . . . ولا تخفف عن طريق التأملات فى الأسباب الشخصية والأوامر التى أدت للمجاعة . وبالمثل ، نحن نرفض بازدراء الاتهام بأن التنديد بجرائم هتلر فى أوروبا الشرقية فيه غض للطرف عن جرائم ستالين . وحتى إذا كنا ندعى أننا جادون ، فنحن نطبق المعايير نفسها على أنفسنا ، دائما . وفى هذه الحالة نعد الذين ماتوا نتيجة للجريمة ، وليس الذين قتلوا فى الخرطوم بواسطة قذائف كروز ؛ ولا نعتبر أن الجريمة قد خففت من حيث إنها تعكس العمل العادى لصناعة السياسة والمؤسسات الأيديولوجية ـ كما حدث ، حتى إذا كانت تكهناتى الغامضة عن

مشكلات كلينتون الشخصية تتسم ببعض الصحة، حسب اعتقادى، والتى ليست لها صلة، على أى حال، بهذا السؤال. وهذا يرجع للأسباب التى يسلم بها الجميع عند دراسة جرائم الأعداء الرسميين. بعد أن نضع هذه البديهيات نصب أعيننا، فلننظر فى بعض المواد المتاحة لنا بيسر فى الصحافة الجارية. إنى لا آخذ فى الاعتبار ذلك التحليل المستفيض لسلامة ذرائع واشنطون، بوصفها ذات مغزى أخلاقى صغير بالمقارنة لمسألة العواقب.

فبعد الهجوم بعام، "بدون الدواء المنقذ للحياة الذى كانت تنتجه المرافق المدمرة، استمر عدد الموتى فى السودان، نتيجة للقصف، فى الارتفاع، باستمرار، . . . وهكذا فإن عشرات الآلاف من البشر - كثير منهم من الأطفال - عانوا من الملاريا والدرن وغيرهما، وماتوا من الأمراض التى يمكن علاجها . . . فقد كان مصنع الشفاء يقدم أدوية سعرها فى المتناول للبشر، كذلك كان يقدم جميع الدواء البيطرى المتاح فى السودان؛ إذ كان الشفاء ينتج ٩٠ فى المائة من منتجات السودان الدوائية الكبرى . . . كما أن العقوبات المفروضة على السودان تجعل من المستحيل استيراد كميات كافية من الأدوية اللازمة لسد الفجوة الخطيرة التى خلفها تدمير المصنع . . . ما زال الإجراء الذى اتخذته واشنطون فى ٢٠ أغسطس ١٩٩٨ يحرم شعب السودان من الأدوية التى تمس الحاجة إليها. ولا بد أن يتعجب الملايين من الكيفية التى سوف تحتفل محكمة العدل الدولية فى لاهاى بالذكرى السنوية لإنشائها!. (چوناثان بيليك)، [صحيفة البوستون جلوب، ٢٢ أغسطس ١٩٩٩]، ويكتب سفير ألمانيا فى السودان "من الصعب تقييم عدد الأشخاص الذين ماتوا فى هذا البلد الأفريقى الفقير نتيجة للدمار الذى لحق بمصنع الشفاء، لكن القول بأنهم عدة عشرات من الآلاف يبدو تقديراً معقولاً" فيرنر داوم "الكونية والغرب". [هارفارد إنترناشيونال ريڤيو، صيف ٢٠٠١].

"إن فقد هذا المصنع يعد مأساة للمجتمعات الريفية التى تحتاج إلى هذه الأدوية" توم كارنافين المدير الفنى الذى لديه معرفة وثيقة بالمصنع المدمر، [مقتبس عن طبعة فيليباى هنرى ماكدونالد، شيام باتيا ومارتين برايت. لندن أوبزيرفر، ٢٣ أغسطس، ١٩٩٨ الموضوع الرئيسى، صفحة ١].

كان الشفاء "يقدم خمسين فى المائة من أدوية السودان، وخلف دماره البلاد بدون مدد من الكلوروكوين وهو العلاج المعتمد للملاريا" ولكن بعد ذلك بشهرين، رفضت حكومة العمال البريطانية طلبات "بإعادة التزويد بالكلوروكوين لإسعاف الطوارئ حتى يستطيع السودانيون إعادة بناء إنتاجهم الدوائى" [پاتريك وانتر، الأوبزرڤر ٢٠ ديسمبر ١٩٩٨].

كان مصنع الشفاء "هو الوحيد الذى ينتج هذه العقاقير - لما يزيد عن ١٠٠٠٠٠ من المرضى، بسعر حوالى جنيه بريطانى واحد فى الشهر. لا يملك معظمهم اختيار البدائل المستوردة الأكثر تكلفة - كان الشفاء هو المصنع الوحيد الذى يصنع العقاقير البيطرية فى هذه البلاد الشاسعة، التى يغلب عليها النشاط الرعوى، وكان مختصّا فى صناعة العقاقير التى تقتل الطفيليات التى تنتقل من القطعان إلى رعاتها، وهذا أحد الأسباب الرئيسية لوفيات الأطفال فى السودان". [چيمس أستيل، الجارديان، ٢ أكتوبر ٢٠٠١].

ويستمر عدد الوفيات الصامت فى التصاعد. هذه الروايات التى أوردناها قدمها صحفيون محترمون يكتبون فى صحف كبرى. والاستثناء الوحيد هو أكثر المصادر معرفة، التى ذكرناها توّا، چوناثان بيليك، المدير الإقليمى لبرنامج مؤسسة الشرق الأدنى. فهو يكتب على أساس من الخبرة الميدانية فى السودان. وهذه المؤسسة من مؤسسات التنمية المحترمة، يرجع تاريخها إلى الحرب العالمية الأولى، وهى تقدم المساعدة الفنية للبلدان الفقيرة فى الشرق الأوسط، وأفريقيا، وهى تركز على المشروعات التى تدار محليّا، وتعمل باتصال وثيق مع الكثير من الجامعات، والمنظمات الخيرية، ووزارة الخارجية الأمريكية، بما فى ذلك ديپلوماسيون معروفون فى الشرق الأوسط، وكذلك شخصيات بارزة فى الشئون التنموية والتعليمية فى الشرق الأوسط، طبقًا لتحليلات موثوق بها ومتاحة أمامنا، بالنسبة لعدد السكان، يعد تدمير الشفاء أشبه بقيام شبكة ابن لادن بهجوم واحد على الولايات المتحدة مما تسبب فى أن "مئات الآلاف من الناس - الكثير منهم من الأطفال - يعانون ويموتون من أمراض يسهل علاجها." مع أن التشبيه، كما تلاحظ، غير منصف.

فمنطقة السودان " واحدة من أقل مناطق العالم تطوراً، ذلك أن مناخها القاسى وسكانها المتناثرين، وما بها من مخاطر صحية وبنيتها التحتية المتهالكة، تتضافر بحيث تجعل الحياة بالنسبة للكثير من السودانيين صراعًا من أجل البقاء" ؛ فهى بلاد موبوءة بالملاريا والدرن وغير ذلك من الأمراض، حيث " لا يعد تفشى الالتهاب السحائى أو الكوليرا من آن لآخر أمراً غير عادى لذلك، فإن وجود الأدوية التى تكون فى متناول الناس ضرورة قصوى" . [جوناثان بيليك وكمال الفاقى، تقارير فنية من الميدان لمؤسسة الشرق الأدنى].

وفوق ذلك، فهى بلد ذات أرض زراعية، تعانى من نقص مزمن فى المياه التى يمكن نقلها، ومعدل هائل فى الوفيات، والصناعة القليلة، والديون التى تثقل كاهلها، يهلكها الإيدز وتنهكها حرب داخلية مدمرة لا تنتهى، كما أنها ترزح تحت نير العقوبات القاسية. أما عما يحدث فى الداخل، فهذا أمر متروك إلى حد كبير للتكهنات، بما فى ذلك ما يكتبه بيليك. وهذا معقول تمامًا، وترجح التقديرات أنه فى خلال عام، عشرات الآلاف " قد عانوا بالفعل وماتوا" نتيجة لتدمير المرافق الكبرى التى تنتج عقاقير رخيصة الثمن والأدوية البيطرية. ولا يكشف هذا إلا عن ما يبدو على السطح؛ إذ أن منظمة مراقبة حقوق الإنسان قالت: إنه كنتيجة مباشرة للقصف، " رحلت جميع وكالات الأمم المتحدة الموجودة فى الخرطوم العاملين الأمريكيين، كما فعلت الكثير من منظمات الإغاثة" بحيث " أوقفت الكثير من جهود الإغاثة لأجل غير مسمى، بما فى ذلك منظمة حيوية تديرها لجنة الإغاثة الدولية ومقرها الولايات المتحدة، حيث يموت خمسون من الجنوبيين يوميًا" هذه " أقاليم فى جنوب السودان، حيث تقدر الأمم المتحدة أن ٤ ,٢ مليون من البشر معرضون للموت جوعًا" وقد يتسبب " انقطاع المساعدة " للسكان المحطمين" فى نشوء " كارثة فظيعة" بل أكثر من ذلك، يبدو أن القصف الذى قامت به الولايات المتحدة حطم الحركة التى تنمو ببطء، والهادفة إلى إيجاد حل وسط بين طرفى الحرب فى السودان" كما أن القصف وضع حدًا للخطوات المبشرة نحو عقد اتفاقية سلام لإنهاء الحرب الأهلية التى خلفت ٥ ,١ مليون قتيل منذ ١٩٨١، وكان من الممكن أن تؤدى إلى السلام فى أوغندا وحوض النيل بأكمله. " يبدو أن الهجوم قد

حطم . . . الفوائد المرجوة من انتقال سياسى فى قلب حكومة السودان الإسلامية فى اتجاه "ارتباط براجماتى مع العالم الخارجى" فى اتجاه الجهود الرامية إلى التعامل مع أزمات السودان الداخلية، وإنهاء الدعم للإرهاب، والإقلال من نفوذ الإسلاميين المتطرفين [مارك هاباند، الفيناشيال تايمز، ٨ سبتمبر ١٩٩٨].

على حد ما تمخض عنه هذا القصف، يمكننا مقارنة الجريمة التى وقعت فى السودان باغتيال لومومبا، ذلك الاغتيال الذى ساعد على إغراق الكونغو فى عقود من المذابح التى ما تزال جارية؛ أو قلب الحكومةالديموقراطية فى جواتيمالا عام ١٩٥٤؛ الذى أدى إلى أربعين عامًا من الفظائع الوحشية، وغير ذلك الكثير. وبعد ذلك بثلاثة أعوام، يكرر چيمس أستيل فى المقال الذى سبقت الإشارة إليه، ما وصل إليه هاباند من استنتاجات. فهو يستعرض "الثمن السياسى الذى يدفعه بلد يكافح للخروج من الدكتاتورية العسكرية الشمولية والتطرف الاسلامى الهدام والحرب الأهلية طويلة المدى" قبل أن يقع الهجوم الصاروخى الذى "أغرق الخرطوم بين عشية وضحاها فى كابوس التطرف العقيم العاجز الذى كانت تحاول الإفلات منه." ويخلص إلى أن هذا "الثمن السياسى" كان من الممكن أن يكون أشد ضررًا على السودان من تدمير "خدماتها الطبية الهشة" وينقل أستيل عن د. إدريس الطيب، قوله بأن هذه الجريمة "عمل إرهابى تمامًا مثلها مثل ما حدث للبرجين - والفرق الوحيد هو أننا نعرف من الذى ارتكبها. أشدّ ما يحزننى وقوع الضحايا فى نيويورك، وواشنطون، ولكن إذا ما تحدثنا عن الأعداد والتكلفة النسبية، فى بلد فقير، فإن قصف السودان كان أشد سوءًا" د. إدريس واحد من قلة من المختصين فى الصناعات الدوائية فى السودان، ورئيس مجلس إدارة الشفاء. وبكل أسف قد يكون على صواب فى ما يتعلق "بالخسائر البشرية من حيث الأعداد" حتى لو لم نأخذ فى حسباننا "الثمن السياسى" على المدى الأطول. إن تقييم "التكلفة النسبية" مشروع لن أحاول السير فيه، ولاداعى للقول بأن تقييم الجرائم بميزان ما شىء سخيف بصفة عامة، مع أن مقارنة عدد الوفيات أمر معقول تمامًا، كما أنه مقياس فى مجال الدراسات. كذلك فإن الهجوم تسبب فى تكلفة

حادة بالنسبة لشعب الولايات المتحدة، كما صار واضحًا جليًا، يزيغ العيون فى الحادى عشر من سبتمبر، أو ينبغى أن يكون كذلك. ويبدو لى أننا يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا لم يتم إبرازه فى المناقشات المستفيضة عن إخفاقات الاستخبارات التى تكمن وراء ما حدث فى ٩/ ١١ من بشاعة. فقبيل الضرب الصاروخى فى ١٩٩٨، قامت السودان باعتقال شخصين يشتبه فى أنهما ألقيا القنابل على السفارات الأمريكية فى شرق أفريقيا، وأخطرت واشنطون بذلك، كما أكد مسئولون من الولايات المتحدة. غير أن الولايات المتحدة رفضت عرضًا تقدمت به السودان بالتعاون، وبعد الهجوم الصاروخى "أفرجت السودان بغضب" عن المشتبه فيهما. [جيمس ريزين، النيويورك تايمز، ١٠ يوليو ١٩٩٨] ومنذ ذلك الوقت تم تعريفهما بأنهما من العاملين مع ابن لادن. كما أن مذكرات مكتب التحقيقات الفيدرالى التى سربت حديثا، تضيف سببًا آخر يبين لماذا "أفرجت بغضب" عن المشتبه فيهما. تكشف المذكرات عن أن مكتب التحقيقات الفيدرالى كان يريد تسليمهما، لكن وزارة الخارجية رفضت ذلك. ويصف الآن "مصدر كبير من وكالة المخابرات المركزية" رفض هذا العرض بالتعاون من جانب السودان وغيره من العروض يصفه بأنه "أسوأ إخفاق استخباراتى منفرد فى هذا الحادث الشنيع برمته" المتعلق بالحادى عشر من سبتمبر. "فهو مفتاح الأمر كله الآن" بسبب الكم الضخم من الأدلة عن ابن لادن، الذى عرضت السودان تقديمه، وهى عروض كثيراً ما رفضت بقوة بسبب ما لدى الإدارة من "كراهية غير عقلانية" للسودان، كما يقول المصدر الكبير من وكالة المخابرات المركزية. كان يوجد طى ما رفض من عروض السودان المرفوضة "قاعدة معلومات واسعة عن أسامة بن لادن، وأكثر من ٢٠٠ من كبار أعضاء شبكة القاعدة الإرهابية فى السنوات التى سبقت هجمات الحادى عشر من سبتمبر" قدمت لواشنطون "ملفات ثرية، مشفوعة بصور فوتوغرافية وسير تفصيلية للكثيرين من الكوادر الرئيسية، ومعلومات حيوية عن المصالح المالية للقاعدة فى الكثير من أرجاء المعمورة." لكن رفضت قبول المعلومات بسبب "الكره غير العقلانى" لمن استهدفته الولايات المتحدة بهجومها الصاروخى. "من المعقول القول بأننا لو كانت لدينا هذه المعلومات لتوفرت لنا

فرصة أفضل لمنع الهجمات " التى وقعت فى الحادى عشر من سبتمبر ، كما يختم المصدر نفسه الكبير من وكالة المخابرات المركزية كلامه . [دافيد روز ، الأوبزيرڤر ، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١]، والمرء لا يكاد يحاول تقدير خسائر قصف السودان، حتى إذا ما استثنينا الضحايا السودانيين الذين ماتوا مباشرة والذين يحتمل أن يكونوا بعشرات الآلاف . ويمكن أن نرجع العدد الكامل للضحايا مباشرة إلى الفعل الإرهابى وحده - على الأقل، إذا توفرت لنا الأمانة التى تجعلنا نخضع لنفس المقاييس التى نطبقها بدقة على الأعداء الرسميين . ويبين لنا رد الفعل فى الغرب أشياء كثيرة عن أنفسنا ، فإذا كنا نوافق على اتخاذ بديهية أخلاقية فلننظر فى المرآة، أو أن نعود إلى " إقليمنا الصغير هنا، ذلك الإقليم الذى لم يعبأ به أحد " كما كان هنرى ستيمسون يطلق على نصف الكرة الغربى . كوبا مثلاً، فبعد العديد من سنوات الإرهاب، ابتداء من أواخر ١٩٥٩ ، منها فظائع شديدة الخطورة، فإن لكوبا الحق فى اللجوء للعنف ضد الولايات المتحدة طبقًا لمبدأ الولايات المتحدة الذى نادراً ما يناقشه أحد . فللأسف، من السهولة، كل السهولة استمراره، ليس فى ما يتعلق بالولايات المتحدة فحسب، وإنما بالنسبة لغيرها من الدول الإرهابية .

سؤال : فى كتابك " ثقافة الإرهاب " تكتب قائلا : " إن الحمائم الليبراليين يلقون ضوءاً خاصًا على المشهدالثقافى، فهم يرسمون الحدود للانشقاق المحترم " . فكيف يؤدون دورهم منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر؟

تشومسكى: ما دمت لا أحب التعميم، فلنأخذ مثالاً ملموسًا . فى السادس عشر من سبتمبر ، كتبت النيويورك تايمز أن الولايات المتحدة طلبت أن تقطع الباكستان المساعدات الغذائية عن أفغانستان . وقد كان هناك تلميح لذلك من قبل، وانما هنا قد قيل تصريحًا . ومن بين مطالب أخرى أصدرتها واشنطون لپاكستان، طلبت أيضا " . . . . منع قوافل الشاحنات التى تقدم الكثير من الغذاء وغيره من المؤن لسكان أفغانستان من المدنيين " إنه الطعام الذى يحتمل أنه يبقى ملايين من الناس أبعد قليلاً عن المجاعة [چون بيرنز ، إسلام آباد، النيويورك تايمز] . فماذا يعنى هذا؟ هذا يعنى أن أفغان جياع لا يعرف أحد عددهم سوف يموتون . هل هؤلاء من طالبان؟ كلا، إنهم ضحايا للطالبان . والكثير منهم لاجئون محليون قد

احتجزوا ومنعوا من المغادرة. ولكن يوجد بيان يقول: "وهو كذلك، فلنمض فى قتل أعداد غير معروفة"، ربما الملايين من الأفغان الجياع، ضحايا الطالبان. وماذا كان رد الفعل؟ قضيت اليوم كله تقريبًا، بعد ذلك، أتحدث فى الإذاعات والتلفزيونات فى أنحاء العالم. ظللت أنبه إلى هذا. ولم يستطع أحد فى أوروبا أو الولايات المتحدة أن يفكر فى كلمة واحدة على سبيل رد الفعل. وكان هناك فى أماكن أخرى من العالم، الكثير من رد الفعل، حتى حول أطراف أوروبا مثل اليونان. كيف كان يجب أن يكون رد فعلنا على ذلك؟ لنفترض أن هناك دولة كانت لها من القوة ما يجعلها تقول، فلنفعل شيئًا يجعل عددًا ضخمًا من الأمريكيين يموت جوعًا. هل كنت تعتقد أنها مشكلة جادة؟ ومرة أخرى أقول إن هذا تشبيه غير منصف. ففى حالة أفغانستان، التى تركت كى تهلك بعد أن حطمها الغزو السوفيتى واستغلت لصالح حرب واشنطون، صار جزء من البلاد فى حالة من الدمار وصار الشعب بائسًا، بل هو يشكل بالفعل أسوأ الأزمات الإنسانية فى العالم.

سؤال: الإذاعة الوطنية العامة (ناشيونال پابليك راديو) والتى كانت إدارة ريجان تدينها فى الثمانينيات بوصفها "راديو ماناجوا على نهر پوتوماك". ماناجوا عاصمة نيكاراجوا. تتبنى هى الأخرى الجانب الليبرالى من هذه المناظرة الجديرة بالاحترام، وكما أن نوح أدامز، الذى يقدم برنامج "كل شيء يمكن أخذه فى الاعتبار" سأل هذه الأسئلة فى ١٧ سبتمبر: هل يجب السماح بالاغتيالات؟ هل يجب السماح ببعض الانحرافات لوكالة المخابرات المركزية؟

تشومسكى: لايجب السماح لوكالة الاستخبارات المركزية بتنفيذ الاغتيالات، ولكن هذا أقل شيء، فهل يجب السماح لوكالة الاستخبارات المركزية بتنظيم تفجير السيارات ببيروت مثل الذى كنت قد ذكرته لك من قبل؟

فهذا الأمر لايعتبر سرًا، وذلك كما تم إيضاحه فى التقارير، ولكنه سرعان ما تم نسيانه، فذلك لم ينتهك أية قوانين. كما أنها ليست الاستخبارات فحسب، ففى حالة السماح لهم بتنظيم جيش إرهابى ذى مهمة رسمية فى نيكاراجوا، وذلك مباشرة من داخل وزارة الخارجية، لمهاجمة أهداف سهلة فى نيكاراجوا، مستهدفة عيادات طبية وجمعيات زراعية غير محمية! فلتذكر أن وزارة الخارجية وافقت

رسميًا على هذه الاعتداءات، وذلك بعد أن أمرت المحكمة الدولية الولايات المتحدة بإنهاء حملة الإرهاب الدولى، وأن تقوم بدفع تعوضات هائلة.

فما مسمى ذلك؟ أو كيف تسمى إقامة شيء يشبه شبكة أسامة بن لادن، ليس هو نفسه، ولكن منظمات أخرى توجد فى الخلفية؟

وهل يجب أن يكون للولايات المتحدة السلطة التى تسمح بإمداد إسرائيل بمروحيات للهجوم تستخدم لتنفيذ اغتيالات سياسية وهجمات على أهداف مدنية؟ فهذه ليست وكالة الاستخبارات المركزية، إنها إدارة كلينتون، بلا أية اعتراضات ذات قيمة. ففى واقع الأمر، لم يتم حتى الإبلاغ عن ذلك، برغم كون المصادر موثوق فيها.

سؤال: هل لك أن تحدد باختصار الاستخدامات السياسية للإرهاب؟ وأين مكانها فى نسق المبادئ؟

تشومسكي: إن الولايات المتحدة ملتزمة رسميًا بما يسمى "الحرب منخفضة الحدة" هذا هو المبدأ الرسمى. وإذا قرأت التعريف القياسى للصراع منخفض الحدة وقارنته بالتعريفات الرسمية "للإرهاب" فى كتيبات الجيش، أو فى قانون الولايات المتحدة ستجد أنها التعريفات نفسها تقريبا. فالإرهاب هو استخدام وسائل الإجبار الموجهة إلى السكان المدنيين لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو غير ذلك. لقد كان هذا هو الهجوم على مركز التجارة العالمى، جريمة إرهابية مفزعة فى بابها. فالإرهاب، طبقًا للتعريفات الرسميه هو ببساطة جزء من فعل الدولة، المذهب الرسمى لها، وليس فقط مذهب الولايات المتحدة، بالطبع. إنه ليس "سلاح الضعفاء" كما يزعمون كثيرًا. والأكثر من ذلك، أن جميع هذه الأشياء يجب أن تكون معروفة معرفة جيدة. ومن المخجل أنها ليست كذلك. وأى شخص يريد أن يعرف تلك الأشياء، يجب أن يبدأ بقراءة مجموعة أليكس چورچ التى ذكرت قبل ذلك، فهى تعرض الكثير من الحالات. هذه أشياء يحتاج الناس إلى معرفتها إذا كانوا يريدون أن يفهموا شيئًا عن أنفسهم. يعرف الجناة بالطبع، عن طريق ما أوقعوه من ضحايا، غير أنهم يفضلون أن ينظروا إلى مكان آخر.

* * *

٥

اختيار الفعل

مقابلة مع مايكل ألبرت فى ٢٢ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال: فلنفترض، فقط من أجل النقاش، أن ابن لادن يقف وراء ما وقع من أحداث. إذا كان الأمر كذلك، ما السبب الذى يمكن أن يكون لديه؟ إذ من المؤكد أن ما حدث لا يمكن أن يعين الفقراء أو العاجزين فى أى مكان، وعلى الأخص الفلسطينيين، إذن ما هدفه؟ إذا كان قد خطط لهذا العمل؟

تشومسكى: عند تناول هذا الموضوع، على المرء أن يكون حذراً، فحسب ما يرى روبرت فيسك، الذى كثيراً ما أجرى لقاءات مع أسامة بن لادن، بل وكانت لقاءات مطولة، ابن لادن يشعر بالغضب من الوجود العسكرى للولايات المتحدة فى السعودية، كما يشعر الناس فى أنحاء المنطقة. وكذلك يشعر بالغضب بسبب الفظائع التى ترتكب ضد الفلسطينيين، بالإضافة إلى الدمار الذى قادته الولايات المتحدة للمجتمع المدنى العراقى. وهذا الشعور بالغضب يشترك فيه الأغنياء والفقراء من كل ألوان الطيف السياسى وغيره. كما أن الكثيرين من الذين يعرفون أحوال المنطقة معرفة جيدة، ليسوا على يقين من أن ابن لادن لديه القدرة على التخطيط لهذه العملية بالغة التعقيد من كهف فى مكان ما فى أفغانستان. غير أن تورط شبكته شىء يلقى قبولاً كبيراً، كما أن الكثير يعتقدون بأنه هو الذى كان مصدر الإلهام بالنسبة للذين فعلوا ذلك. ومن الجائز تماماً أن ابن لادن كان يقول الحقيقة حين ذكر أنه لم يكن يعرف شيئاً عن العملية. وإذا ما نحينا هذا كله جانباً، فإن ابن لادن واضح فى شأن ما يريده، ليس فقط بالنسبة لأى غربيين يريدون إجراء مقابلات معه، مثل فيسك، وإنما الأهم من ذلك، بالنسبة لجمهوره من الناطقين باللغة العربية الذين يصل صوته إليهم من خلال أشرطة الكاسيت التى توزع على

نطاق واسع. وإذا تبينا الإطار الذى يعمل فيه، فقط من أجل متابعة النقاش، فإن الهدف الأول هو السعودية وغيرها من أنظمة المنطقة الفاسدة القمعية، ولا يوجد نظام واحد منها "إسلاميًا" حقًا. وأنه هو وشبكته عازمون على دعم المسلمين الذين يدافعون عن أنفسهم فى مواجهة "الكفار" حيثما كان ذلك فى الشيشان، أو البوسنة، أو كشمير، أو غرب الصين، أو جنوب غرب آسيا، أو شمال أفريقيا وربما فى غير ذلك من الأماكن. فهم قد قاتلوا وكسبوا حربًا مقدسة لطرد الروس من أفغانستان المسلمة، وهم أشد عزمًا على طرد الأمريكيين من السعودية، وهى بلد أكثر أهمية بالنسبة لهم، بحسبانها المكان الذى توجد فيه أقدس المواقع الإسلامية. إن دعوته لقلب أنظمة العصابات الفاسدة القاسية التى تستخدم التعذيب تجلجل على نطاق واسع، كذلك حنقه على الأعمال الفظيعة التى يعزوها هو وغيره إلى الولايات المتحدة، وليس عن غير حق تمامًا. وصحيح كل الصحة أن ما ارتكب من جرائم تعد بالغة الضرر بأفقر من فى المنطقة وأكثرهم تعرضًا للقمع. إذ أن الهجوم على برجى نيويورك والپنتاجون، مثلاً، كان بالغ الضرر بالفلسطينيين، ولكن ما يبدو أمرًا غير متسق بشكل حاد عند النظر إليه من الخارج، ربما يفهم بشكل مختلف إلى حد ما من الداخل. فمهما كانت أفعال ابن لادن ضارة بالأغلبية الفقيرة فى المنطقة، فقد يبدو بطلاً عن طريق مكافحة الظلمة، وهم حقيقيون. وإذا نجحت الولايات المتحدة فى قتله، قد يصبح أشد قوة كشهيد، وسوف يظل صوته يسمع على أشرطة الكاسيت، ومن خلال غيرها من الوسائل. فهو فى نهاية الأمر، رمز بقدر ما هو قوة موضوعية، بالنسبة للولايات المتحدة، وربما بالنسبة للكثير من الناس. وأظن أنه توجد كل الأسباب التى تحملنا على أن نعلم أنه يعنى كل كلمة يقولها. ولا يمكن أن تأتى جرائمه كشىء مفاجئ بالنسبة لوكالة المخابرات المركزية. ذلك أن "ارتداد الكيد إلى نحره" من جانب القوات الإسلامية المتطرفة التى نظمتها وسلحتها ودربتها الولايات المتحدة ومصر وفرنسا وپاكستان وغيرها، بدأ على الفور تقريبًا، باغتيال رئيس مصر السابق السادات عام ١٩٨١، وقد كان من أشد المتحمسين لخلق قوات تجمع لشن الجهاد ضد الروس. وظل العنف منذ ذلك الوقت بلا هوادة. إذ كانت الضربة المرتدة ضربة مباشرة، كما كانت من نوع مألوف جدًا على مدى خمسين عامًا من التاريخ، بما فى ذلك تدفق المخدرات والعنف. ولنأخذ حالة واحدة، إذ يذكر أكبر متخصص فى هذا الموضوع، چون

كولى، أن ضباط وكالة المخابرات المركزية "ساعدوا عن وعى" على دخول رجل الدين الإسلامى المتطرف المصرى الشيخ عمر عبد الرحمن إلى الولايات المتحدة عام ١٩٩٠ (الحرب غير المقدسة) وكانت مصر تطالب به لاتهامه بالإرهاب. وفى ١٩٩٣، زج به فى الهجوم على مركز التجارة الدولى، ذلك الهجوم الذى اتبعت فيه الإجراءات أو الطرق التى تم تدريسها فى كتيبات وكالة المخابرات المركزية الّتى يفترض أنها قدمت "للأفغان" الذين كانوا يقاتلون الروس. وكانت الخطة هى تفجير مبنى الأمم المتحدة، ونفقى لينكولن وهولاند، وغير ذلك من الأهداف أيضًا. وأدين الشيخ عمر بالتآمر وحكم عليه بمدة سجن طويلة.

سؤال: مرة أخرى إذا كان ابن لادن هو الذى خطط لهذه الأفعال، وخاصة إذا صدقنا مخاوف الشعب من أن هناك المزيد من هذه الأعمال التى سوف تقع، فما الطريقة الملائمة للإقلال من هذا الخطر أو إزالته؟ ما الخطوات التى ينبغى أن تتبعها الولايات المتحدة أو غيرها، داخليًا أو دوليًا؟ وماذا يمكن أن تكون نتائج تلك الخطوات؟

تشومسكى: . تختلف كل حالة عن غيرها من الحالات، ولكن فلنأخذ بضعة نماذج مشابهة. فماذا كانت الطريقة الصحيحة التى يجب أن تتبعها بريطانيا؛ كى تتعامل مع تفجيرات القنابل التى كان يقوم بها الجيش الجمهورى الأيرلندى فى لندن؟ أحد الاختيارات يمكن أن يكون إرسال القوات الجوية الملكية لقصف مصدر تمويلهم، أى أماكن مثل مدينة بوستون [فى الولايات المتحدة الأمريكية] أو تسلل قوات خاصة (كوماندو) للقبض على الذين يشتبه فى تورطهم فى مثل هذا التمويل وقتلهم، أو حملهم سرًا إلى لندن كى يواجهوا المحاكمة، حتى إذا ما نحينا جانبًا إمكان عمل ذلك، فسوف يكون مثل هذا العمل حمقًا إجراميًا. كانت هناك إمكانية أخرى وهى النظر بشكل واقعى فى الهموم والمظالم التى تكمن فى خلفية ما يحدث ومحاولة علاجها، وفى الوقت نفسه اتباع القاعدة القانونية فى معاقبة المجرمين. وفى اعتقادى، سوف يكون ذلك تصرفًا متعقلاً. أو فلنأخذ إلقاء القنابل على المبنى الفيدرالى فى مدينة أوكلاهوما. كانت هناك دعوات فورية مباشرة لقصف الشرق الأوسط، وكان من المحتمل أن يحدث ذلك، لو وجدت مجرد إشارة بعيدة إلى وجود أى صلة. وحين اكتشف أنه هجوم مدبر فى الداخل، عن طريق شخص لديه صلات بميليشيا عسكرية، لم تصدر دعوات لمحو مونتانا وأيداهو أو "جمهورية

تكساس » التى كانت تنادى بالانفصال عن الحكومة الظالمة غير الشرعية الموجودة فى واشنطون. بل كان هناك بحث عن مرتكب هذا العمل، الذى عثر عليه وقدم للمحاكمة وأدين. لقد كان رد الفعل معقولاً إلى حد بذل جهود لفهم المظالم التى تكمن وراء مثل هذه الجرائم ومعالجة المشكلات. هذا هو النهج الذى نتبعه، على الأقل، إذا كنا نهتم بتحقيق العدالة الصحيحة ونأمل فى الإقلال من احتمال وقوع المزيد من الأعمال الفظيعة ولا نزيد منها. هذه المبادئ نفسها تصلح بصفة عامة، مع إيلاء الانتباه المناسب لتنوع الظروف. وهى تصلح، بصفة خاصة، فى هذه الحالة.

سؤال: ما الخطوات التى تسعى حكومة الولايات المتحدة إلى اتخاذها والتى هى على النقيض من ذلك؟ وماذا يمكن أن تكون النتائج إذا ما نجحوا فى خططهم؟

تشومسكى: . إن ما تمت إذاعته هو تقريبًا إعلان للحرب ضد جميع من لا ينضمون إلى واشنطون فى لجوئها للعنف، بالكيفية التى تراها. فدول العالم تواجه « اختيارًا صارخ الوضوح » انضموا إلينا فى حربنا الصليبية أو « واجهوا احتمال الموت المحقق والدمار »[آر. دبليو أبل، نيويورك تايمز، ١٤ سبتمبر]. ويكرر بقوة أسلوب خطاب بوش فى ٢٠ سبتمبر هذا الموقف. وإذا ما أخذناه بمعناه الحرفى، فهو يكاد يكون إعلانًا للحرب ضد الكثير من بلاد العالم. غير أنى على ثقة من أننا لا يجب أن نأخذه بالمعنى الحرفى. ذلك أن مخططى الحكومة لا يريدون إلحاق الضرر البليغ بمصالحهم. لكننا لا نعرف ما خططهم الحقيقية؟. غير أنى أظن أنهم سوف يحفظون عن ظهر قلب التحذيرات التى يتلقونها من الزعماء الأجانب، المتخصصين فى المنطقة، وكذلك وكالات استخباراتهم. فذلك الهجوم العسكرى الضخم الذى يمكن أن يقتل الكثيرين من المدنيين الأبرياء هو بالضبط « ما يريده بالتأكيد مرتكبو مذبحة مانهاتن قبل كل شىء » ؛ ذلك أن الانتقام العسكرى يعلى من شأن قضيتهم، ويعطى طابعًا عقائديًا أيديولوجيًا لزعيمهم، وينزع أى قيمة للاعتدال، ويسيغ التعصب. فإذا كان التاريخ فى حاجة إلى عامل مساعد لتحقيق صراع جديد مخيف بين العرب والغرب، فيمكن لهذا أن يكون ذلك العامل المساعد [سيمون چينكينز، تايمز، لندن. ١٤ سبتمبر، وهو واحد من الذين ظلوا يؤكدون على هذه النقاط منذ البداية] وحتى إذا ما قتل ابن لادن، فلن يؤدى قتل الأبرياء المدنيين إلا إلى زيادة مشاعر الغضب حدة وكذلك مشاعر اليأس والإحباط التى تفور بها منطقة الشرق الأوسط، وكذلك تعبئة آخرين من أجل هدفه البشع.

وربما تحقق ذلك بصورة أشد إذا ما قتل فعلاً. سوف يعتمد ما تفعله الإدارة، جزئيًا، على الأقل، على الحالة المزاجية فى الداخل، تلك الحالة التى يمكننا أن نأمل فى التأثير عليها. ولا نستطيع أن نقول بقدر كبير من الثقة: ماذا ستكون عواقب أفعالهم؟ فنحن لا نعرف أكثر مما يعرفه المسئولون فى الإدارة. ولكن هناك تقديرات معقولة، وما لم يتبع طريق العقل وما يلزم به القانون والمعاهدات، فإن المستقبل يمكن أن يكون حالكًا.

سؤال: يقول الكثير من الناس إن مواطنى الدول العربية كان يجب أن يتحملوا المسئولية فى إزالة الإرهابيين عن كوكب الأرض، أو الحكومات التى تساند الإرهاب. فما ردك على ذلك؟

تشومسكى: من المعقول أن ندعو المواطنين إلى أن يمحوا الإرهابيين بدلاً من انتخابهم لتولى المناصب العليا، وكيل المديح لهم ومكافأتهم. غير أنى لم أكن لأقترح أننا كان علينا "إزالة مسئولينا المنتخبين ومستشاريهم والمنافقين من المفكرين الذين يصفقون لهم، وعملائهم من على هذا الكوكب"! أو أقترح تحطيم حكومتنا وغيرها من الحكومات الغربية؛ بسبب ما ترتكبه من جرائم إرهابية ودعمهم للإرهابيين فى طول العالم وعرضه، بما فيهم أولئك الذين انتقلوا من أصدقاء ذوى حظوة وحلفاء إلى فئة "الإرهابيين"؛ لأنهم عصوا أوامر الولايات المتحدة، مثل صدام حسين، والكثيرين غيره. ومهما يكن من أمر، فليس من الإنصاف إلقاء اللوم على المواطنين الذين يرزحون تحت نظم حكم قاسية عنيفة نحن ندعمها، وتحميلهم هذه المسئولية، فى الوقت الذى لا نفعل نحن ذلك فى ظروف أكثر ملاءمة بكثير.

سؤال: يقول الكثيرون إنه عبر التاريخ، حين يقع الهجوم على أمة من الأمم، فإنها ترد بنفس ما هوجمت به، فماذا تقول؟

تشومسكى: حين تهاجم البلاد، تحاول أن تدافع عن نفسها، إن استطاعت. وطبقًا لهذا المبدأ الذى توحى به، فإن نيكاراجوا، وڤييتنام الجنوبية، وكوبا، والعديد غيرها كان يجب أن تقصف واشنطون وغيرها من مدن الولايات المتحدة بالقنابل، كما يجب الثناء على الفلسطينيين لإطلاق القنابل فى تل أبيب، وهكذا. فبسبب مثل هذه المذاهب التى أوصلت أوروبا إلى ما هو أقرب من تدمير الذات بعد مئات السنين من الهمجية، وضعت أمم العالم ميثاقًا مختلفًا بعد الحرب العالمية

الثانية، يقر، على الأقل رسميًا، المبدأ القائل بأن اللجوء للقوة محظور إلا فى حالة الدفاع عن النفس ضد الهجوم المسلح، حتى يتحرك مجلس الأمن لحماية السلام والأمن الدوليين. والانتقام محظور بصفة خاصة. ولما كانت الولايات المتحدة لا تتعرض لهجوم مسلح، بالمعنى الذى جاء فى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، فإن هذه الاعتبارات غير ذات صلة - إذا كنا، على الأقل، نوافق على أن المبادئ الأساسية للقانون الدولى تنطبق علينا، ولا تنطبق على من لايروقون لنا فحسب. ومع ذلك، إذا ما نحينا القانون الدولى جانبًا، فإن لدينا قرونًا من التجارب التى تخبرنا بالضبط ما تجره علينا المبادئ التى يجرى اقتراحها الآن، ويهلل لها العديد من المعلقين. إن ما تجره هو الإنهاء الوشيك للتجربة الإنسانية فى عالم يملك أسلحة الدمار الشامل - ولهذا السبب، قررت أوروبا، فى نهاية الأمر، منذ نصف قرن، أن لعبة القتل المتبادل التى كانوا ينغمسون فيها لعدة قرون يستحسن أن تنتهى، وإلا.

سؤال: فى أعقاب ١١/ ٩ مباشرة، فزع الكثيرون حين رأوا تعبيرات الغضب من الولايات المتحدة تخرج وتبرز من أنحاء مختلفة من العالم، بما فى ذلك الشرق الأوسط، وإن لم تكن قاصرة عليه. ذلك أن صور الناس وهم يحتفلون بتدمير مركز التجارة العالمى تجعل الشعب يطالب بالانتقام. فما رأيك فى ذلك؟

تشومسكى: لقد تسلم زمام الأمور فى إندونيسيا عام ١٩٦٥ جيش تسانده الولايات المتحدة، وأخذ ينظم ذبح مئات الآلاف من الناس، غالبيتهم من الفلاحين الذين لا يملكون أراضى، فى مذبحة قارنتها وكالة المخابرات المركزية بجرائم هتلر وستالين وماو. وحين كتب عن المذبحة بدقة، أحدثت حالة من الحبور الجامح فى الغرب، فى وسائل الإعلام الوطنية، وغيرها. ولم يكن الفلاحون الإندونيسيون قد تسببوا فى أى ضرر لنا بأى وسيلة. وحين خضعت نيكاراجوا أخيرًا لهجوم الولايات المتحدة، أثنت الصحف الرائجة بنجاح الطرق التى تم اتباعها "لتحطيم الاقتصاد وتنفيذ حرب مميتة بالوكالة إلى أن أسقط الأهالى المنهكون بأنفسهم الحكومة غير المرغوب فيها" بتكلفة "ضئيلة" بالنسبة لنا مخلفين الضحايا "وقد دمرت جسورهم، وخربت محطات الطاقة لديهم، وانهارت مزارعهم" مما قدم لمرشح الولايات المتحدة "قضية رابحة" هى إنهاء "فقر شعب نيكاراجوا" [تايم]. لقد "وحدنا الفرح" بهذه النتيجة، كما قالت النيويورك تايمز. من السهل أن أستفيض فى ذلك. قليل من الناس فى أنحاء العالم احتفلوا بالجرائم التى وقعت فى

نيويورك؛ بشكل عارم، بل إن هذه الأعمال البشعة كانت مصدر حزن شديد، حتى فى أماكن داست فيها واشنطون على الناس بأقدامها لمدة طالت كثيراً. ولكن كانت هناك، لا شك، مشاعر غضب من الولايات المتحدة. ولا أعرف، على أى حال، ما هو أكثر غرابة من المثالين اللذين ذكرتهما.

سؤال: إذا ما ابتعدنا عن ردود الأفعال العلنية هذه، ما هى - فى رأيك - الدوافع الحقيقية التى تعمل عملها فى سياسة الولايات المتحدة فى هذه اللحظة؟ وما الغرض من "الحرب ضد الإرهاب" كما يراها بوش؟

تشومسكى: ليست "الحرب ضد الإرهاب" جديدة، ولا هى "حرب ضد الإرهاب" إذ يجب علينا أن نتذكر أن إدارة ريجان وصلت للحكم منذ ٢٠ عامًا، معلنة أن "الإرهاب الدولى" الذى يرعاه الاتحاد السوفييتى فى أنحاء العالم هو أكبر تهديد تواجهه الولايات المتحدة التى تعد الهدف الرئيسى للإرهاب، وكذلك حلفاؤها وأصدقاؤها. لذا يجب أن نكرس أنفسنا لحرب لاستئصال هذا "السرطان" هذا "الطاعون" الذى يدمر الحضارة. وكان أنصار ريجان يتصرفون بناء على هذا الالتزام عن طريق تنظيم حملات من الإرهاب الدولى كانت غير عادية من حيث تصاعدها ودمارها، بل إنها أدت إلى إدانة للولايات المتحدة من المحكمة الدولية. كما كان هؤلاء يقدمون دعمهم للكثيرين غيرهم، مثلاً فى جنوب أفريقيا، حيث قتل من جراء الفظائع التى كانت تساندها الولايات المتحدة مليون ونصف من البشر، وتسبب عن خسائر قدرها ٦٠ بليون دولار أثناء سنوات ريجان وحدها. وبلغت هيستيريا الحرب ضد الإرهاب الدولى ذروتها فى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين، فى حين كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها فى المقدمة فى نشر السرطان الذى كانوا يطالبون باستئصاله. فإذا شئنا يمكننا أن نعيش فى عالم من الوهم المريح. أو نستطيع أن ننظر إلى التاريخ الحديث، إلى الهياكل المؤسسية التى ظلت دون تغير من حيث الجوهر، وإلى الخطط التى كانت تعلن - ونجيب على الأسئلة بناء على ذلك. ولست أعلم سببًا يجعلنا نفترض أنه كان هناك تغيير مفاجئ فى الدوافع الدائمة القديمة أو أهداف السياسة، باستثناء التعديلات التكتيكية حسب الظروف المتغيرة. كما يجب أن نعرف أن من بين مهام المفكرين الرفيعة أن يعلنوا كل بضع سنين أننا قد "غيرنا نهجنا" وأن الماضى وراءنا، ويمكن نسيانه ونحن نتقدم نحو مستقبل مجيد. وهذا موقف ملائم كل الملاءمة، وإن لم يكن معقولاً أو جديراً

بالإعجاب. وما كتب فى هذا كله يملأ مجلدات. ولا يوجد أى سبب، إلا إذا اخترنا ذلك، يحملنا على أن نبقى بلا وعى بالحقائق التى هى، بالطبع مألوفة بالنسبة للضحايا وإن كان قليل منهم فى وضع يمكنهم من التعرف على مدى الهجوم الإرهابى الدولى الذى يخضعون له، كما أنهم لا يعرفون طبيعته.

سؤال: هل تعتقد أن معظم الأمريكيين سوف يقبلون أن الحل للهجمات الإرهابية ضد المدنيين هنا، يكمن فى أن ترد الولايات المتحدة بهجمات إرهابية ضد المدنيين فى الخارج؟ وأن الحل لمواجهة التعصب هو فى تقييد الحريات المدنية إذا سمحت الظروف بتقييم تفصيلى للاختيارات؟

تشومسكى: لا آمل ذلك، غير أننا لا يجب أن نقلل من قدرة أجهزة الدعاية التى تدار إدارة جيدة؛ بحيث تدفع الناس إلى تصرفات انتحارية إجرامية غير عقلانية. ولنضرب مثلاً بعيداً بقدر كاف بحيث يمكننا النظر إليه بأقل قدر من الانفعال، أعنى الحرب العالمية الأولى. إذ لا يمكن أن يكون الجانبان مشتبكين فى حرب نبيلة من أجل أسمى الغايات. ولكن على الجانبين كان الجنود يتقدمون نحو الهلاك بقدر هائل من الغبطة يعززها هتاف طبقة المفكرين وأولئك الذين ساعدوا على تعبئتهم فى كل ألوان الطيف السياسى، من اليسار إلى اليمين، بما فى ذلك أشد القوى السياسية اليسارية فى العالم، فى ألمانيا. والاستثناءات قليلة حتى أننا يمكننا عمليّاً أن نعدها، بل إن المطاف انتهى ببعض من أبرز هذه القوى إلى السجن؛ لأنها تساءلت عن نبل ذلك المشروع، ومنهم روزا لاكسمبيرج، وبرتراند راسل، ويوجين ديبس. وفى خلال أشهر قليلة، تحول بلد تهدوى يدعو للتهدئة بين المتحاربين إلى بلد من المتحمسين الهيستيريين المعادين للألمان، مستعدين للانتقام من أولئك الذين ارتكبوا جرائم وحشية فى حقهم. كثيراً من هذه الجرائم قد اخترعتها وزارة الإعلام البريطانية. كل هذا كان بمساعدة وكالات الدعاية التابعة لويلسون والدعم الحماسى من جانب المفكرين الليبراليين. غير أن هذا ليس شيئًا حتميّاً بأى حال. ولا يجب أن نقلل من شأن الآثار التحضرية للنضال الشعبى فى السنوات الأخيرة. إذ أننا لسنا فى حاجة إلى السير نحو الكارثة لمجرد أن هذه هى خطوط أو أوامر السير المعطاة لنا.

* * *

٦

الحضارة شرقا وغربا

مقابلات أجريت مع وسائل الإعلام الأوروبية فى ٢٠ - ٢٢ سبتمبر ٢٠٠١، مع ماريلى مارجومينو من محطة تلفزيون ألفا - اليونان، وميجيل مورا لصحيفة الباييس - إسبانيا، وناتالى ليفيزال لصحيفة ليبراسيون - فرنسا .

سؤال : بعد الهجوم فى الولايات المتحدة، قال وزير الخارجية كولين ل . باول إن حكومة الولايات المتحدة سوف تراجع القوانين الخاصة بالإرهاب، بما فى ذلك القانون عام ١٩٧٦ الذى يحظر القيام باغتيال الأجانب . كما أن الاتحاد الأوروبى على وشك القيام بتطبيق قانون جديد خاص بالإرهاب . فكيف يمكن أن يصل الرد على الهجمات إلى حد تقييد حرياتنا؟ فمثلاً؛ هل يعطى الإرهاب للحكومة الحق فى وضعنا تحت المراقبة؛ لتعقب المشتبهين ومنع وقوع هجمات فى المستقبل؟

تشومسكى : ربما تكون الإجابة الممعنة فى التجريد مضللة؛ لذا فللننظر فى مثال توضيحى نموذجى مما يجرى الآن لما تعنيه الخطط الموضوعة؛ لتخفيف القيود على عنف الدولة فى التطبيق العملى . فى هذا الصباح ٢١ سبتمبر، نشرت النيويورك تايمز رأيًا لمايكل وولتزر، وهو أحد المفكرين المحترمين، الذى يعد من القادة الأخلاقيين . لقد طالب بشن " حملة أيديولوجية تتناول جميع الحجج الخاصة بالإرهاب والتبريرات التى تساق لشرحه ورفضها جميعًا " وبما إنه، كما يعرف، لا توجد مثل هذه الحجج والمبررات التى تبرر الإرهاب من النوع الذى يفكر فيه، على الأقل من جانب أى شخص يتصف بالعقل، فإن هذا الكلام، فى واقع الأمر، يترجم على أنه دعوة لرفض جميع الجهود المبذولة لاستكشاف الأسباب التى تكمن وراء الأعمال الإرهابية الموجهة ضد دول يؤيدها . ثم يستطرد بطريقة تقليدية،

بوضع نفسه بين أولئك الذين يقدمون " حججًا وأعذارًا للإرهاب " موافقًا بشكل ضمنى على الاغتيال السياسى، بالتحديد اغتيال إسرائيل للفلسطينيين الذين تزعم إسرائيل أنهم يدعمون الإرهاب، دون أن يقدم أحد دليلاً أو يعد ذلك ضروريًا، وفى الكثير من الحالات، فإن الشكوك نفسها تبدو على غير أساس. " والخسائر المصاحبة لذلك " من نساء وأطفال، وكذلك الآخرون الموجودون فى المكان الذى تقع فيه عملية الاغتيال، يعاملون بالطريقة المعتادة حسب المعيار المتبع. وظلت طائرات الهليكوبتر الهجومية التى زودت بها الولايات المتحدة إسرائيل تستخدم فى مثل تلك الاغتيالات لمدة عشرة أشهر. ويضع وولتزر كلمة " اغتيال " بين قوسين مشيرًا إلى أن الاصطلاح من وجهة نظره، يعد جزءًا مما يسميه " الروايات الشائهة المحمومة لحصار العراق والصراع الفلسطينى الإسرائيلى ". وهو فى ذلك يشير إلى النقد الذى وجه إلى الفظائع التى ترتكبها إسرائيل بمساندة من الولايات المتحدة فى الأراضى الواقعة تحت احتلال عسكرى عنيف قاس لما يقرب من ٣٥ سنة، وكذلك النقد الذى يوجه لسياسات الولايات المتحدة التى حطمت المجتمع المدنى فى العراق، فى حين تقوى صدام حسين! مثل هذه الانتقادات هامشية فى الولايات المتحدة ولكن يبدو أنها أكثر من احتماله. وربما يقصد وولتزر حين يقول " الروايات الشائهة " الإشارات من حين إلى حين إلى ماقالته وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت حين سئلت على شاشات التلفزيون الوطنى (ناشيونال تى. فى) عمّا يقدر بنصف مليون من الموتى من أطفال العراق نتيجة لنظام العقوبات. واعترفت بأن هذه العواقب هى " اختيار صعب " بالنسبة لإدارتها، لكنها قالت: " إننا نعتقد أن الأمر يستحق هذا الثمن " أذكر هذا المثال الوحيد، الذى يسهل فهم أبعاده، لتوضيح وتصوير المعنى المجسد لإرخاء القيود على عمل الدولة. وربما نعيد إلى الذاكرة أنه من الشائع أن تبرر الدول الإجرامية التى تستخدم العنف أعمالها باعتبارها " مناهضة للإرهاب " مثال على ذلك، مقاتلة النازيين للمقاومة. ومن الشائع أن يبرر مثل هذه الأفعال مفكرون محترمون. وليس هذا بتاريخ قديم. ففى ديسمبر ١٩٨٧ فى ذروة القلق من الإرهاب الدولى، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الرئيسى فى هذا الشأن، مندّدة بهذا الطاعون بأقوى الألفاظ، مطالبة جميع

الدول بأن تعمل بشدة للتغلب عليه . وتمت الموافقة على القرار بتأييد ١٥٣ دولة أمام معارضة صوتين : الولايات المتحدة وإسرائيل ، وهوندوراس فقط امتنعت عن التصويت . تقول الفقرة التى أحسوا بالغضب منها : "لا يوجد فى القرار الحالى ما يعارض ، بأى حال ، الحق فى تقرير المصير ، والحرية والاستقلال ، المستمدة من ميثاق الأمم المتحدة ، للشعوب التى حرمت بالقوة من هذا الحق . . . وعلى الأخص الشعوب الواقعة تحت نظم استعمارية وعنصرية والاحتلال الأجنبى ، وغير ذلك من أشكال السيطرة الاستعمارية ، ولاحق تلك الشعوب فى الكفاح لتحقيق هذه الغاية ، وأن تسعى وتتلقى العون طبقا للميثاق وغير ذلك من مبادئ القانون الدولى" . هذه الحقوق لا تقبلها الولايات المتحدة وإسرائيل؛ أو حليفتهما فى جنوب أفريقيا ، فى ذلك الوقت . بالنسبة لواشنطون ، كان المؤتمر الوطنى الأفريقى "تنظيمًا إرهابيًا" لكن جنوب أفريقيا لم تلحق بكوبا وغيرها "كدولة إرهابية" ذلك أن "تفسير واشنطون "للإرهاب" هو الذى يسود بالطبع ، من الناحية العملية ، مع قسوة ذلك على البشر . هناك ، الآن ، حديث كثير عن وضع ميثاق شامل ضد الإرهاب ، وهذه ليست بالمهمة الهينة . والسبب فى ذلك ، وهو سبب تتحاشى التقارير ذكره ، أن الولايات المتحدة لن تقبل أى شىء شبيه بتلك الفقرة المثيرة للغضب التى وردت فى القرار الصادر عام ١٩٨٧ ، كما لن يقبله أى من حلفائها ، لا ولا حتى إذا اتفق تعريف "الإرهاب" مع التعريفات الرسمية فى قانون الولايات المتحدة أو كتيبات الجيش . لكنه يكون مقبولاً فقط إذا أمكن ، بشكل ما ، إعادة تشكيله بحيث يستبعد إرهاب الأقوياء أو عملائهم . بالطبع هناك الكثير من العوامل التى يجب دراستها عند التفكير فى سؤالك . غير أن السجل التاريخى له أهمية بالغة . ولا يمكن الإجابة على السؤال بشكل غاية فى العمومية . فهو يتوقف على ظروف شديدة الخصوصية ومواقف شديدة الخصوصية .

سؤال : لقد قرر البرلمان الألمانى بالفعل أن ينضم الجنود الألمان للقوات الأمريكية ، مع أن ثمانين فى المائة من الشعب الألمانى لا يوافقون على ذلك ، طبقًا لمسح أجراه معهد فورسا . فهل لديك أفكار فى هذا الموضوع؟

تشومسكي: في الوقت الحاضر تتردد القوى الأوروبية في ما يتعلق بالانضمام لحرب واشنطون الصليبية؛ لأنها تخشى من أن الولايات المتحدة سوف تقدم لابن لادن أو آخرين مثله طريقة لتعبئة اليائسين الغاضبين في جانب قضيتهم إذا ما شنت الولايات المتحدة هجومًا كبيرًا ضد الأبرياء . وسوف تكون عواقب ذلك أشد رعبًا .

سؤال: ما رأيك في أن تتصرف الدول كمجتمع عولمي في زمن الحرب؟

تشومسكي: ليست هذه هي المرة الأولى التي فرض على كل دولة أن تتحالف مع الولايات المتحدة وإلا اعتبرت عدوًا، ولكن أفغانستان تعلن الشيء نفسه . إدارة بوش تقدمت على الفور، لدول العالم باختيار : انضموا إلينا، أو واجهوا الدمار . (ملحوظة المحرر : يشير تشومسكي هنا، إلى اقتباس نشرته النيويورك تايمز ، ١٤ سبتمبر ٢٠٠١ ، انظر صفحة ٤٦) يعترض المجتمع العالمي على الإرهاب بشدة، بما في ذلك الإرهاب الهائل الذي تمارسه الدول القوية، وكذلك الجرائم البشعة التي حدثت في الحادي عشر من سبتمبر . لكن "المجتمع العالمي" لا يتحرك . وحين تستخدم الدول الغربية ومفكرو الغرب اصطلاح "المجتمع الدولي" إنما هم يشيرون إلى أنفسهم . إن أولئك الذين لم يؤيدوا ما تفعله القوة والثروة ليسوا جزءًا من "المجتمع العالمي" تمامًا، كما أن الإرهاب يعني تقليديًا "الإرهاب الموجه ضدنا نحن وأصدقائنا" . فلا غرو إذن في أن تحاول أفغانستان أن تحاكي الولايات المتحدة في دعوة المسلمين للمساندة . على نطاق أصغر بكثير بالطبع . وبالرغم من ابتعاد زعماء الطالبان عن العالم الخارجي، فإنهم يعرفون تمام المعرفة أن الدول الإسلامية ليست صديقة لهم . بل إن هذه الدول، في حقيقة الأمر، تعرضت لهجمات إرهابية من جانب القوة الإسلامية المتطرفة التي تم تنظيمها وتدريبها؛ كي تجاهد ضد اتحاد الجمهوريات السوفييتية منذ عشرين عامًا، وبدأت في استكمال جدول أعمالها الإرهابي في أماكن أخرى على الفور باغتيال الرئيس المصري أنور السادات .

سؤال: حسب كلامك، فإن الهجوم على أفغانستان يعد حربًا على الإرهاب؟

تشومسكي: ربما يقتل الهجوم على أفغانستان الكثيرين من المدنيين الأبرياء، بل من الممكن أن يقتل أعدادًا غفيرة في بلاد فيها ملايين بالفعل على شفا الموت بسبب المجاعة . فالقتل المتهور الأهوج لملايين الأبرياء هو إرهاب، وليس حربًا على الإرهاب .

سؤال: هل يمكن أن تتصور كيف يمكن أن يكون الموقف لو أن الهجوم الإرهابى على الولايات المتحدة قد حدث أثناء الليل، حين يكون عدد قليل جدًا من الناس فى مركز التجارة العالمى؟ بعبارة أخرى، لو كان هناك القليل جدًا من الضحايا، هل كان رد فعل الحكومة الأمريكية يتم بالطريقة نفسها؟ إلى أى حد هى متأثرة برمز هذه الكارثة؟ أى أن ما هوجم هو مبنى وزارة الدفاع والبرجين التوأمين؟

تشومسكى: أشك فى أن هذا كان يمكن أن يحدث أى فرق. بل كانت تعد جريمة فظيعة، حتى لو كان عدد الموتى أقل بكثير. فمبنى وزارة الدفاع أكثر من "رمز" لأسباب ليست فى حاجة إلى تعليق. أما عن مركز التجارة العالمى، فنحن نكاد لا نعرف ماذا كان يجرى فى عقول الإرهابيين حين هاجموه عام ١٩٩٣، ودمروه فى الحادى عشر من سبتمبر. غير أننا يمكن أن نكون على ثقة من أن ما كان يدور فى عقولهم يكاد يكون عديم العلاقة بأمور مثل "العولمة" أو "الإمبريالية الاقتصادية" أو "القيم الحضارية" فهى أمور لا يألفها ابن لادن ورفاقه أو غيرهم من المتطرفين الإسلاميين مثل أولئك المتهمين بإلقاء القنابل عام ١٩٩٣، ولا تهمهم هذه الأمور على الإطلاق، فى حد ذاتها. فمن الواضح أن الفظائع التى ارتكبوها عبر السنين تسببت فى ضرر بالغ للفقراء والمقهورين فى العالم الإسلامى أو غيره من الأماكن، وفى الحادى عشر من سبتمبر مرة أخرى. ومن بين الضحايا- على نحو مباشر- الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال العسكرى، كما لا بد أن يكون الجناة قد عرفوا. فاهتماماتهم مختلفة، وكان ابن لادن، على الأقل، فصيحًا فى التعبير عن هذه الاهتمامات فى الكثير من المقابلات: قلب النظم الفاسدة القمعية فى العالم العربى وإحلال نظم "إسلامية" محلها لدعم المسلمين فى نضالهم ضد "الكفار" فى السعودية، التى يعتبر أنها تحت احتلال الولايات المتحدة، وكذلك الشيشان والبوسنة وغرب الصين وشمال أفريقيا وجنوب شرق آسيا؛ وربما أماكن أخرى. ومن المناسب للمفكرين فى الغرب أن يتحدثوا عن "قضايا أعمق" مثل كراهية القيم الغربية، والتقدم. فهذه طريقة مفيدة لتحاشى تناول أسئلة تتعلق بأصل شبكة ابن لادن نفسها، وعن الممارسات التى تؤدى إلى الغضب، والخوف، واليأس الذى يعم المنطقة، ويقدم منهلاً يمكن للخلايا

الإرهابية المتطرفة أن تنهل منه. ولما كانت إجابات هذه الأسئلة واضحة إلى حد ما، ولا تتماشى مع المبدأ المفضل، فيحسن استبعاد الأسئلة باعتبارها "سطحية" و "عديمة المغزى" والالتفات إلى "قضايا أكثر عمقًا" وهى فى حقيقة الأمر، أكثر سطحية حتى إذا كانت متعلقة بهذه القضايا.

سؤال: هل نسمى ما يحدث الآن حربًا؟

تشومسكى: لا يوجد تعريف دقيق "للحرب". فالناس يتحدثون عن "الحرب على الفقر" و "حرب المخدرات" إلخ. وما يتشكل الآن ليس صراعًا بين دول، رغم أنه يمكن أن يصبح كذلك.

سؤال: هل يمكننا أن نتحدث عن صراع بين حضارتين؟

تشومسكى: هذا الحديث رائج هذه الأيام شأنه شأن الموضة، غير أن به القليل من المعنى. فلنفترض أننا سوف نجرى مراجعة مختصرة للتاريخ المألوف. سوف نجد أن أكبر الدول الإسلامية من حيث السكان هى إندونيسيا، وهى دولة ذات حظوة لدى الولايات المتحدة منذ تولى سوهارتو السلطة عام ١٩٦٥، حين قضت المذابح التى يقودها الجيش على مئات الآلاف من الناس، وأغلبهم من الفلاحين الذين لا يمتلكون أية أراض زراعية، وكان ذلك بمساعدة الولايات المتحدة. وشعر الغرب بالانتشاء بشكل يسبب قدرًا هائلاً من الحرج حين نفكر فيه بأثر رجعى، حتى أننا محونا ذلك الشعور من الذاكرة محوًا تامًا. وظل سوهارتو "نوع الرجال الذى نفضله" كما كانت إدارة كلينتون تطلق عليه، وهو يكدس واحدًا من أبشع سجلات القتل والتعذيب وغير ذلك من جرائم أواخر القرن العشرين. كما أن أكثر الدول الإسلامية أصولية - باستثناء الطالبان - هى السعودية وهى صديق مفضل للولايات المتحدة منذ إنشائها. وفى الثمانينيات من القرن العشرين، قامت الولايات المتحدة ومعها المخابرات الباكستانية بمساعدة من السعودية، وبريطانيا وغيرها بتعبئة وتسليح وتدريب كل ما استطاعت العثور عليه من أشد الأصوليين الإسلاميين تطرفًا؛ لإنزال أقصى قدر ممكن من الضرر بالسوفييت فى أفغانستان. وكما يكتب سيمون چينكينز فى التايمز: إن هذه الجهود "حطمت نظامًا معتدلاً وأوجدت نظامًا

متعصبًا، من جماعات مولها الأمريكان بطيش" من المحتمل أن معظم التمويل كان سعوديًا. وكان من بين المستفيدين استفادة غير مباشرة أسامة بن لادن. كما أنه فى الثمانينيات من القرن العشرين، أعطت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة دعمًا قويًا لصديقهما وحليفهما صدام حسين. وهو بالطبع، أكثر علمانية لكنه على الجانب الإسلامى من "الصراع" طوال الفترة التى ارتكب فيها أبشع ما اقترف من فظائع، بما فى ذلك إلقاء الغاز على الأكراد، وما هو أكثر بشاعة من ذلك. كما حاربت الولايات المتحدة فى الثمانينيات أيضًا حربا كبرى فى أمريكا الوسطى، مخلفة ٢٠٠٠٠٠٠ من الجثث التى عذب أصحابها ومثل بهم، والملايين من اليتامى واللاجئين وأربع دول محطمة. وكانت الكنيسة الكاثوليكية هدفًا رئيسيًا من أهداف هجوم الولايات المتحدة؛ لأن الكنيسة ارتكبت أشد الخطايا بتبنيها "لاختيار الانحياز للفقراء". وفى أوائل التسعينيات، ولأسباب تتعلق بالقوة، اختارت الولايات المتحدة مسلمى البوسنة؛ كى يكونوا عملاءها فى البلقان، ولم يكن ذلك لفائدتهم(*). لذا دون الاستطراد فى هذا كله، نسأل أين بالضبط يوجد الخط الفاصل بين الحضارات؟ هل علينا أن نستنتج أن هناك "صراع حضارات" تقف فيه الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية فى جانب، والولايات المتحدة والعالم الإسلامى، بما فيه من أشد العناصر إجرامًا وتعصبًا فى الجانب الآخر؟ بالطبع أنا لا أوحى بمثل هذا الكلام العبثى. ولكن ماذا يمكن لنا أن نستنتج على الأسس العقلانية؟

سؤال: هل تعتقد أننا نستخدم كلمة "حضارة" الاستخدام السليم؟ وهل من الممكن أن يجرنا عالم متحضر حقًا إلى حرب عالمية كهذه؟

تشومسكى: لا يمكن أن يتسامح أى مجتمع متحضر مع أى شىء ذكرته توًا. وما ذكرته هو مجرد عينة ضئيلة من تاريخ الولايات المتحدة، بل إن التاريخ الأوروبى أشد سوءًا. ومن المؤكد أنه لا يوجد "عالم متحضر" يمكن أن يغرق العالم فى أتون حرب كبرى بدلاً من اتباع الوسائل التى يصفها القانون الدولى، واتباع الكثير من السوابق.

سؤال: لقد أطلق على الهجمات أنها عمل من أعمال الكراهية. فمن أين، حسب رأيك، تأتى هذه الكراهية؟

(*) تساعد الولايات المتحدة وأوروبا الشيوعيين القدامى فى البوسنة ضد التيار الإسلامى، من بعد اتفاقية دايتون بشهور قليلة. الناشر.

تشومسكى: بالنسبة للمتطرفين الإسلاميين الذين عبأتهم وكالة المخابرات المركزية وشركاؤها، فإن الكراهية هى بالضبط ما يعبرون عنه. وكانت الولايات المتحدة مبتهجة بدعم كراهيتهم وعنفهم حين كان موجهًا لأعداء الولايات المتحدة؛ ولا يسعدها أن يتجه الكره الذى ساعدت على تغذيته ضد الولايات المتحدة وحلفائها، كما حدث مرات كثيرة فى العشرين سنة الأخيرة. أما بالنسبة لسكان المنطقة، وهى فئة مختلفة تمام الاختلاف، فإن أسباب المشاعر التى يشعرون بها ليست غامضة. كما أن مصدر هذه العواطف معلوم تمامًا.

سؤال: وماذا يمكن لمواطنى العالم الغربى أن يفعلوا، حسب اعتقادك، لاستعادة السلام؟

تشومسكى: يتوقف الأمر على ما يريده هؤلاء المواطنون. فإذا كانوا يريدون دائرة متصاعدة من العنف، على النمط المعهود، فمن المؤكد أن عليهم أن يدعوا الولايات المتحدة إلى أن تقع فى "الفخ الشيطانى" لابن لادن، وتقتل المدنيين الأبرياء. أما إذا كانوا يريدون أن يخففوا من مستوى العنف، فعليهم أن يستخدموا تأثيرهم لتوجيه القوى العظمى فى طريق مختلف تمامًا، أعنى الطريق الذى وصفته قبل ذلك، وهو، مرة أخرى، طريق له الكثير من السوابق. ويشمل هذه الإرادة لفحص ما يكمن وراء ما وقع من أعمال فظيعة. كثيرًا ما يسمع المرء أننا لا ينبغى أن نفكر فى هذه الأمور؛ لأن ذلك سوف يكون تبريرًا للإرهاب. وهذا وضع غاية فى الحمق والتدمير حتى أنه لا يستحق التعليق. غير أنه للأسف موقف شائع. ولكن إذا كنا لا نرغب فى الإسهام فى تصعيد دائرة العنف، التى سوف تستهدف الأغنياء والأقوياء أيضًا، فإن هذا بالضبط هو ما ينبغى علينا عمله، فى جميع الأحوال، بما فى ذلك تلك الأحوال المعروفة تمام المعرفة فى إسپانيا. [ملحوظة المحرر: هنا تجرى الصحافة الإسپانية اللقاء مع تشومسكى، ومن ثم إشاراته لإسپانيا].

سؤال: هل "تسببت" الولايات المتحدة فى هذه الهجمات؟ هل هى تبعات السياسات الأمريكية؟

تشومسكى: ليست الهجمات "تبعات" لسياسات الولايات المتحدة بالمعنى

المباشر بأى حال. ولكن بشكل غير مباشر، هى كذلك بالطبع؛ وليس هذا حتى موضع جدال. إذ يبدو أن هناك قليلاً شك فى أن مرتكبى هذه الهجمات يأتون من الشبكة الإرهابية التى توجد جذورها فى الجيوش المرتزقة، التى تم تنظيمها وتدريبها وتسليحها بواسطة وكالة المخابرات المركزية ومصر وباكستان والمخابرات الفرنسية والتمويل السعودى وغيرها. وتظل خلفيات هذا كله مشوشة إلى حد ما. بدأ تنظيم هذه القوات عام ١٩٧٩، إذا جاز لنا أن نصدق مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى بريزنيسكى. إذ أنه زعم، وقد يكون هذا من باب التفاخر، أنه فى منتصف ١٩٧٩ كان قد حث على إعطاء الدعم السرى للمجاهدين الذين يقاتلون حكومة أفغانستان فى جهد لجر الروس إلى ما أسماه "فخ أفغانى" وهى عبارة جديرة بالتذكر. وهو شديد الزهو بأنهم سقطوا فى "الفخ الأفغانى" وذلك بإرسال قوات عسكرية لمساندة الحكومة بعد ذلك بستة أشهر، وحدث ما نعرف من العواقب. وجمعت الولايات المتحدة هى وحلفاؤها جيشًا ضخمًا من المرتزقة، ربما بلغ ١٠٠٠٠٠ أو أكثر، واستجلبوه مما استطاعوا العثور عليه من أشد القطاعات تشددًا. وحدث أن هذه القطاعات كانت من الإسلاميين المتطرفين، إنهم من يسمون هنا بالأصوليين الإسلاميين من جميع الأنحاء، ومعظمهم لم يكونوا من الأفغان. وهم يسمون "الأفغان" لكن مثل ابن لادن، يأتى الكثير منهم من أماكن أخرى. وانضم ابن لادن إلى هذا الجيش فى وقت ما من الثمانينيات. وكان يعمل فى شبكات التمويل، التى ربما كانت هى الشبكات التى ما تزال موجودة. وحاربوا حربًا مقدسة ضد المحتلين الروس. وحملوا الإرهاب إلى داخل الأراضى الروسية. وكسبوا الحرب وانسحب الغزاة الروس. ولم تكن الحرب هى نشاطهم الوحيد. ففى ١٩٨١، اغتالت القوات الموجودة فى هذه الجماعات الرئيس السادات رئيس مصر الذى ساعد على إنشاء هذه القوات. وفى ١٩٨٣ كان لأحد الانتحاريين دور جوهرى فى دحر العسكريين الأمريكيين من لبنان. وربما كانت له صلات بهذه القوات. واستمر الحال. ومع مقدم عام ١٩٨٩، كانوا قد نجحوا فى حربهم المقدسة فى أفغانستان. وما أن أقامت الولايات المتحدة وجودًا عسكريًا دائمًا فى السعودية حتى أعلن ابن لادن وبقية القوات أنه من وجهة نظرهم هذا يقارن بالاحتلال الروسى لأفغانستان، ووجهوا بنادقهم نحو الأمريكان، كما حدث سابقًا عام ١٩٨٣ حين

كانت للولايات المتحدة قوات عسكرية فى لبنان. وتعد السعودية عدواً رئيسياً لشبكة ابن لادن، مثلها مثل مصر. فهم يريدون القضاء على ما يسمونه الحكومات غير الإسلامية فى مصر والسعودية وغيرهما من حكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. واستمر الحال. وفى ١٩٩٧، قتلوا ما يقرب من ستين سائحاً فى مصر، ودمروا صناعة السياحة المصرية. وظلوا لعدة سنوات يقومون بنشاط فى جميع أنحاء المنطقة، فى شمال وشرق أفريقيا والشرق الأوسط والبلقان ووسط آسيا وغرب الصين وجنوب شرق آسيا، والولايات المتحدة. هذه إحدى الجماعات. وهى نتاج حروب الثمانينيات، وإذا جاز لنا أن نصدق بريزنيسكى، كانت موجودة حتى قبل ذلك الوقت، حين نصبوا "الفخ الأفغانى". بل أكثر من ذلك، فإن الإرهابيين يستمدون قوتهم من مخزون اليأس والغضب والإحباط الذى يمتد من الأغنياء حتى يشمل الفقراء، ومن العلمانيين إلى المتطرفين الإسلاميين. وهذه أمور معروفة معرفة تامة لأى شخص يهتم بهذه المنطقة. ومن الجلى الواضح لكل راغب فى الإصغاء أن أصل هذا يرجع إلى حد كبير إلى سياسات الولايات المتحدة.

سؤال: لقد قلت إن أكبر من يمارسون الإرهاب دول مثل الولايات المتحدة التى تستخدم العنف لتحقيق دوافع سياسية. متى وكيف؟

تشومسكى: أرى أن هذا السؤال مربك. كما سبق أن قلت فى موضع آخر، الولايات المتحدة، فى نهاية الأمر، هى الدولة الوحيدة التى أدانتها المحكمة الدولية لارتكابها الإرهاب الدولى - "بسبب الاستخدام غير المشروع للقوة" لتحقيق أهداف سياسية، كما قالت المحكمة - وأمرت الولايات المتحدة بأن تضع حداً لهذه الجرائم، وأن تدفع تعويضات كبيرة. وقد رفضت الولايات المتحدة، بالطبع، حكم المحكمة بازدراء، وكان رد فعلها هو تصعيد الحرب الإرهابية على نيكاراجوا، واستخدام حق النقض "الڤيتو" لإفشال قرار من مجلس الأمن يدعو جميع الدول إلى أن تراعى القانون الدولى، وصوتت وحدها ومعها إسرائيل، وفى إحدى الحالات السلڤادور ضد قرارات مشابهة من الجمعية العامة. وامتدت الحرب الإرهابية تطبيقاً للسياسة الرسمية القاضية بمهاجمة "الأهداف اللينة" مثل الأهداف المدنية التى لا توجد قوات تدافع عنها، كالجمعيات الزراعية، والعيادات الصحية -

بدلاً من الاشتباك مع جيش نيكاراجوا. وكان الإرهابيون قادرين على تنفيذ هذه التعليمات بفضل السيطرة التامة على المجال الجوى لنيكاراجوا من جانب الولايات المتحدة، وكذلك بفضل المعدات المتقدمة للاتصالات التى قدمها إليهم المشرفون عليهم. كما ينبغى الاعتراف بأن هذه الأعمال الإرهابية كانت تلقى موافقة واسعة النطاق. إذ جادل ميكل كينزلى، أحد المعلقين البارزين فى أقصى الجناح الليبرالى بأننا لا يجب أن نكتفى برفض تبريرات وزارات الخارجية للهجمات الإرهابية على "الأهداف اللينة" وكتب أن لا بد من "سياسة متعقلة" تستجيب "لتحليل لاختبار التكلفة والفائدة" أى تحليل "لكمية الدماء والبؤس الذى سوف يعم، واحتمال نشوء الديموقراطية فى الطرف الآخر" الديموقراطية، كما تفهم الولايات المتحدة هذه الكلمة، وهو تفسير واضح تمام الوضوح فى المنطقة. فمن المسلم به أن نخب الولايات المتحدة لها الحق فى إجراء هذا التحليل وتنفيذ المشروع إذا ما نجح فى الاختبار الذى تجريه هذه النخب. والشىء الأكثر إثارة من ذلك، أن فكرة أن نيكاراجوا يجب أن يكون لها الحق فى الدفاع عن نفسها اعتبرت فكرة مثيرة للغضب على اتساع الطيف السياسى فى الولايات المتحدة. وضغطت الولايات المتحدة على الحلفاء لايقاف تزويد نيكاراجوا بالسلاح آملة فى أن تتجه إلى روسيا، كما فعلت؛ فيقدم ذلك صور الدعاية المطلوبة. ذلك أن إدارة ريجان كثيراً ما روجت الإشاعات بأن نيكاراجوا تتلقى المقاتلات النفاثة من روسيا - لحماية مجالها الجوى، كما يعرف الجميع، ولتمنع الهجمات الإرهابية التى تشنها الولايات المتحدة على "الأهداف اللينة." كانت الإشاعات كاذبة لكن رد الفعل كان مفيداً. ذلك أن الحمائم تشككوا فى الإشاعات، لكنهم قالوا إذا ما كانت صحيحة، فيجب، بالطبع، أن نقصف نيكاراجوا؛ لأنها ستشكل تهديداً لأمننا. ولقد كشفت قاعدة المعلومات عن أنه لم تكد توجد أى اشارة تدل على أن نيكاراجوا كان لها الحق فى الدفاع عن نفسها. ويكشف هذا لنا الكثير عن "ثقافة الإرهاب" المتأصلة والتى تسود الحضارة الغربية. وليس هذا بأى حال، هو أشد الأمثلة غلواً؛ إنى أذكره لأنه لا خلاف عليه، إذا ما أخذنا فى الاعتبار إدانة المحكمة الدولية، وأذكره لأن جهود نيكاراجوا الفاشلة لاتباع الوسائل القانونية، بدلاً من إطلاق القنابل فى واشنطون، تقدم نموذجاً لما يحدث اليوم، وليس هو النموذج الوحيد. فلم تكن نيكاراجوا إلا مكوناً من

مكونات حرب واشنطون الإرهابية فى أمريكا الوسطى فى ذلك العقد الرهيب. التى خلّفت مئات الآلاف من الموتى كما دمرت أربعة من البلاد. فى أثناء تلك السنين كانت الولايات المتحدة تنفذ الإرهاب واسع النطاق فى أماكن أخرى، بما فى ذلك الشرق الأوسط، وسأضرب مثالاً واحداً، وأعنى به السيارة المفخخة خارج المسجد فى بيروت عام ١٩٨٥، والتى كانت موقوتة؛ لكى تقتل أكبر عدد من المدنيين، فمات ٨٠، وأصيب ٢٥٠، وكان هدف العملية شيخ مسلم لكنه نجا. كذلك فإن الولايات المتحدة ساندت الكثير من عمليات الإرهاب الأشد سوءاً مثلا غزو إسرائيل للبنان الذى قتل ما يقرب من ١٨٠٠٠ من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، ولم يكن ذلك دفاعًا عن النفس، وهذا ما اعترف به على الفور؛ وكذلك دائرة فظائع "القبضة الحديدية" التى امتدت فى السنين التالية، والتى استهدفت "الإرهابيين القرويين" كما كانت إسرائيل تقول. وما تلا ذلك من غزوى ١٩٩٣ و ١٩٩٦، اللذين أيدتهما الولايات المتحدة تأييدًا قويًا. إلى أن حدث رد الفعل الدولى على مذبحة قانا، والذى جعل كلينتون يتراجع. من المحتمل أن عدد القتلى فى لبنان وحدها ما بعد عام ١٩٨٢ يصل إلى ٢٠٠٠٠ من المدنيين الآخرين. وفى التسعينيات قدمت الولايات المتحدة ثمانين فى المائة من الأسلحة لحملة تركيا ضد التمرد الذى قام به الأكراد فى الجنوب الشرقى؛ مما أدى إلى قتل عشرات الآلاف، وهروب ثلثى مليون من منازلهم، وتدمير ٢٥٠٠ قرية، وهو سبعة أضعاف ما حدث فى كوسوفو؛ بسبب غزو حلف الأطلنطى. وقد فعلت تركيا ذلك بكل ألوان البشاعة التى يمكن تصورها. وازداد تدفق الأسلحة بغزارة عام ١٩٨٤ مع شن تركيا لهجومها الإرهابى، ولم تبدأ فى العودة إلى مستوياتها السابقة إلا عام ١٩٩٩، حين حققت أعمالها البشعة هدفها. وفى ١٩٩٩ تراجعت تركيا عن مكانها باعتبارها الدولة الأولى من حيث تلقى الأسلحة من الولايات المتحدة، باستثناء إسرائيل ومصر، ولكن حلت محلها كولومبيا، أسوأ منتهكى حقوق الإنسان فى نصف الكرة فى التسعينيات من القرن العشرين، وهى إلى حد بعيد أكبر متلق للأسلحة والتدريب من الولايات المتحدة سيرًا على نمط متماسك من السياسة. لقد ذكرت قبل ذلك الدمار الذى لحق بالمجتمع المدنى العراقى، وموت نحو مليون نسمة، ما يزيد عن نصفهم من الشباب والأطفال،

حسب تقارير لا يمكن تجاهلها ببساطة. وما هذه سوى عينة صغيرة. وإنى لمندهش بصراحة من إثارة السؤال - على الأخص فى فرنسا، التى قدمت إسهاماتها فى إرهاب الدولة وعنفها المروع، والذى هو بالتأكيد مألوف.

[ملحوظة المحرر: هنا يتحدث تشومسكى مع وسائل الإعلام الفرنسية، ومن ثم كانت الإشارات لفرنسا].

سؤال: هل ردود الأفعال إجماعية فى الولايات المتحدة؟ هل تشارك ردود الأفعال هذه كليًا أم جزئيًا؟

تشومسكى: إذا كنت تقصد رد الفعل الغاضب من الهجوم الإجرامى المروع، والتعاطف مع الضحايا، إذن فإن ردود الأفعال تقريبًا إجماعية فى كل مكان، بما فى ذلك البلاد الإسلامية. فكل شخص عاقل بالطبع، يشعر بهذا الشعور كليًا، وليس "جزئيا". وأما إذا كنت تشير إلى النداءات بشن هجمات إجرامية، سوف تقتل، بالتأكيد العديد من الأبرياء - وبالمناسبة تستجيب لأحر دعوات ابن لادن - فلا يوجد مثل "رد الفعل الإجماعى" هذا، رغم الانطباعات السطحية التى يستقيها المرء من مشاهدة التلفزيون. أما عنى، فانى أنضم للكثيرين فى معارضة مثل هذه الأعمال. الكثيرين جدا. لا يستطيع أحد أن يقول إن عواطف الغالبية شديدة التعقيد. ولكن "إجماعًا" بالتأكيد لا، إلا فى ما يتعلق بطبيعة الجريمة.

سؤال: هل تندد بالإرهاب؟ وكيف لنا أن نحكم على أى الأفعال بأنه إرهاب وأيها عمل من أعمال المقاومة ضد أحد الطغاة أو قوة محتلة؟ وفى أى الفئات "تصنف" الإضراب الأخير ضد الولايات المتحدة؟

تشومسكى: إنى أفهم كلمة "إرهاب" بالضبط بالمعنى المحدد فى الوثائق الرسمية "الاستخدام المحسوب للعنف أو التهديد بالعنف؛ لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية أيديولوچية فى طبيعتها. ويتم ذلك من خلال الترهيب أو الإجبار أو بذر الخوف" وطبقًا لهذا التعريف - المناسب تمامًا - فإن الهجوم الأخير على الولايات المتحدة هو بالتأكيد عمل من أعمال الإرهاب، بل هو فى الواقع، جريمة إرهابية مروعة. ولا يكاد يوجد أى اختلاف حول ذلك فى كل أنحاء العالم، ولا يجب أن يكون. ولكن جنبًا إلى جنب مع المعنى الحرفى للكلمة، كما

اقتبست من الوثائق الرسمية للولايات المتحدة، هناك أيضًا استخدام دعائى، وهو بكل أسف الاستخدام المعيارى، فكلمة "إرهاب" تستخدم للإشارة إلى الأعمال الإرهابية التى يرتكبها الأعداء ضدنا أو ضد حلفائنا. ويكاد هذا الاستخدام الدعائى يكون استخدامًا عالميًا. فالكل "يندد بالإرهاب" بهذا المعنى للكلمة. وحتى النازيون نددوا بالإرهاب وأقاموا ما أسموه "مكافحة الإرهاب" ضد إرهاب الوطنيين! ووافقت الولايات المتحدة من حيث الأساس، وقامت بتنظيم "عمليات لمكافحة الإرهاب" فى اليونان وفى أماكن أخرى فى السنوات التى تلت الحرب.

[ملحوظة المحرر: فى هذا الجزء كان من أجرى الحديث صحفى يونانى، ومن هنا كانت إشارات تشومسكى لليونان].

بل إن برامج الولايات المتحدة لمكافحة القلاقل، استمدت الإلهام بوضوح من النموذج النازى، الذى كان يعامل باحترام، وكان ضباط فيرماخت يستشارون وكانت كتيباتهم تستخدم فى تصميم برامج مكافحة القلاقل فى كل أنحاء العالم، وتسمى "مكافحة الإرهاب" وهى أمور درسها مايكل ماكلينتوك فى عمل له أهمية خاصة. فإذا أخذنا هذه الأمور، فإن الناس ذاتهم و الأعمال نفسها يمكن بسرعة أن تنتقل من كونها "إرهابية" إلى "مقاتلين من أجل الحرية"، ثم تعود إلى وضعها السابق مرة أخرى! وهذا يحدث بالقرب من اليونان فى السنوات الأخيرة. إذ نددت الولايات المتحدة رسميًا بالكلا أوك باعتبارهم "إرهابيين" عام ١٩٩٨؛ بسبب ما شنوه من هجمات على البوليس الصربى والمدنيين فى مسعى لانتزاع رد صربى قاس غير متناسب كما أعلنوا بصراحة. وفى وقت مبكر يرجع إلى يناير عام ١٩٩٩، كان البريطانيون، وهم أكثر عناصر حلف الأطلنطى تشددًا فى هذا الأمر، يعتقدون أن الكلا أوك أكثر مسئولية عن عدد القتلى من الصرب. ورغم أن هذا يصعب تصديقه، إلا أنه يكشف لنا الكثير عن المدركات فى المستويات العليا فى حلف الأطلنطى. وإذا كان لنا أن نصدق الكم الهائل من الوثائق الذى تقدمه لنا وزارة الخارجية الأمريكية وحلف الأطلنطى ومنظمة الأمن الأوروبى وغير ذلك من المصادر الغربية، فإن شيئًا لم يتغير تغيرًا ملموسًا على الأرض حتى انسحاب مراقبى الأمم المتحدة والهجوم الذى وقع فى أواخر مارس عام ١٩٩٩، غير أن السياسات

تغيرت؛ إذ قررت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة شن هجوم على الصرب، وفى الحال تحول "الإرهابيون" إلى "مقاتلين من أجل الحرية" وبعد الحرب، صار "المقاتلون من أجل الحرية" هم وأقرب شركائهم "إرهابيين" و "سفاحين" و "قتلة" حين نفذوا، ما عدوه من وجهة نظرهم، أعمالاً مشابهة لأسباب مشابهة فى مقدونيا، وهى إحدى حلفاء الولايات المتحدة. ذلك أن الجميع يندد بالإرهاب، ولكن علينا أن نسأل عما يعنون. يمكنك أن تجد إجابة سؤالك فيما كتبت من آراء فى كتبى الكثيرة والمقالات التى كتبتها عن الإرهاب فى العقود العديدة الماضية، وإن كنت أستخدم اللفظ بالمعنى الحرفى، وبالتالى فإنى أندد بجميع الأعمال الإرهابية، وليس فقط تلك التى تسمى "إرهابية" لأسباب دعائية.

سؤال: هل الإسلام خطر على الحضارة الغربية؟ هل تشكل طريقة الغرب فى الحياة تهديدا للبشرية؟

تشومسكى: هذا السؤال أوسع وأكثر غموضًا بالنسبة لى، من أن أجيب عليه. ومع ذلك، يجب أن يكون واضحًا أن الولايات المتحدة لا تعتبر الإسلام عدوًا، والعكس بالعكس. أما عن "طريقة الغرب فى الحياة" فهى تشتمل على تنويعة كبيرة من العناصر، الكثير منها جدير بالإعجاب الشديد، والكثير منها يتبع بحماس فى العالم الإسلامى، وفيها الكثير مما هو إجرامى، بل ويعد تهديدًا لبقاء الإنسان. وبالنسبة "للحضارة الغربية" فربما يمكننا أن نتدبر الكلمات التى تعزى إلى غاندى حين سئل عن رأيه فى "الحضارة الغربية" قال: قد تكون فكرة طيبة.

* * *

٧

قدر كبير من ضبط الأعصاب

أحاديث مع مايكل البرت فى ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١،

وجريج روجيرو فى ٥ أكتوبر ٢٠٠١

سؤال: لقد حدث تحريك كبير للقوات واستخدام مفرط للخطاب العسكرى وصل إلى حد صدور تعليقات عن إبادة حكومات، إلخ. والآن، يبدو أن هناك قدرًا كبيرًا من ضبط النفس. . . فماذا حدث؟

تشومسكى: منذ الأيام الأولى التى أعقبت الهجوم، فإن حلف الأطلنطى والمختصين فى المنطقة ووكالات الاستخبارات، على ما يفترض، حذروا إدارة بوش من أنها إذا ما ردت بهجوم كبير يقتل الكثير من الأبرياء، فستكون بذلك تحقق أعز أمانى ابن لادن وغيره. ناهيك عن تحذير أناس مثلى ومثلك. وسوف يكون هذا صحيحًا - بل يزداد صحة إذا ما قتلوا ابن لادن مع أنهم لم يقدموا ما يعد دليلاً على تورطه فى جرائم الحادى عشر من سبتمبر. عندها سوف ينظر إليه باعتباره شهيدًا بين الغالبية الكاسرة من المسلمين التى تأسف لهذه الجرائم. وإذا ما أسكت عن طريق وضعه فى السجن أو الموت، فسيظل صوته يرن فى عشرات الآلاف من أشرطة الكاسيت التى توزع بالفعل فى كل أنحاء العالم الإسلامى، وعن العديد من اللقاءات معه، بما فى ذلك لقاء فى أواخر سبتمبر. كما أن هجومًا يقتل الأفغان الأبرياء سوف يكون تقريبًا دعوة لتعبئة أناس جدد للهدف البشع الذى تسعى إليه شبكة ابن لادن وغيرهم من خريجى القوات الإرهابية التى أنشأتها وكالة المخابرات المركزية وشركاؤها منذ ٢٠ سنة للقتال فى حرب مقدسة ضد الروس. إذ أنهم كانوا حين ذاك ينفذون جدول الأعمال أو البرنامج الخاص بهم.

ويبدو أن هذه الرسالة قد وجدت طريقها إلى إدارة بوش، التى اختارت أن تتبع نهجًا مختلفًا. كان هذا النهج حكيمًا من وجهة نظرهم.

ومع ذلك فإن كلمة "ضبط النفس" تبدو لى كلمة موضع شك. إذ أنه فى ١٦ سبتمبر، كتبت النيويورك تايمز أن "واشنطون طلبت أيضًا من پاكستان قطع إمدادات الوقود . . . ومنع قوافل الشاحنات التى تقدم الكثير من الغذاء وغيره من المؤن لسكان أفغانستان المدنيين". ومن الملاحظ أن هذا التقرير الذى نشرته الصحيفة لم يحدث أى رد فعل ملحوظ فى الغرب. وهذا يذكرنا بشكل عابس بطبيعة الحضارة الغربية التى يزعم القادة والمفكرون والنخب أنهم يناصرونها. وفى الأيام التى تلت ذلك، تم تنفيذ هذه الطلبات. ففى ٢٧ سبتمبر، كتب المراسل نفسه أن المسئولين فى پاكستان قالوا اليوم: "إنهم لن يلين عزمهم على إغلاق حدود البلاد مع أفغانستان التى تبلغ ١٤٠٠ ميل، وهو إجراء طلبته إدارة بوش؛ لأن المسئولين قالوا إنهم يريدون التأكد من أن أحدًا من رجال ابن لادن لا يختبئ بين الموجة الهائلة من اللاجئين" [چون بيرنز، إسلام أباد]. "أدى التهديد بالضربات العسكرية إلى سحب عمال المعونة الدولية مما أعاق برامج المساعدة" واللاجئون الذين يصلون إلى پاكستان "بعد رحلات شاقة من أفغانستان يصفون مشاهد البؤس والخوف فى وطنهم فى الوقت الذى تحول فيه الهجمات التى تقودها أمريكا بؤسهم الذى دام طويلاً إلى كارثة محتملة." [دوجلاس فرانز، نيويورك تايمز، ٣٠ سبتمبر]. ويقول أحد موظفى الإغاثة الذين تم إجلاؤهم "كانت البلاد تتعلق بشريان الحياة" . . . ونحن قطعنا هذا الشريان" [چون سيفتون، مجلة النيويورك تايمز، ٣٠ سبتمبر].

إذن طبقًا للصحيفة العالمية الكبرى، تصرفت واشنطون على الفور لضمان موت أعداد هائلة من الأفغان ومعاناتهم علمًا بأن الملايين منهم على حافة المجاعة. هذا هو معنى الكلمات التى اقتبسناها توًا، وهناك الكثير من التقارير التى تشبه ما أوردناه.

كانت أعداد هائلة من البؤساء تهرب إلى الحدود وهم فى حالة من الذعر، بعد أن هددت واشنطون بقصف القليل المتناثر المتبقى فى أفغانستان، وتحويل تحالف الشمال إلى قوة عسكرية شديدة التسليح. وهم يخشون، بالطبع، من أن هذه القوات إذا ما أطلقت من عقالها وقد دعمت تدعيمًا كبيرًا، فلربما تجدد الفظائع التى مزقت البلاد وجعلت الكثير من السكان يرحبون بالطالبان حين دحروا الفرق المتحاربة المجرمة التى تأمل واشنطون وموسكو فى استغلالها لأغراضهما الخاصة. ويحفل سجل هذه الفرق بالأعمال البشعة.

إن المدير التنفيذي في قسم الأسلحة في منظمة مراقبة حقوق الإنسان، جوست هيلترمان، وهو متخصص في شئون الشرق الأوسط، يصف فترة حكمهم من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥ بأنها "أسوأ فترة في تاريخ أفغانستان." وتقول تقارير جماعات حقوق الإنسان إن فرقهم المتحاربة قتلت عشرات الألوف من المدنيين، وكذلك ارتكبت أعمال اغتصاب جماعية وغير ذلك من الفظائع. واستمر هذا في حين كانت الطالبان تطردهم. ولنأخذ حالة واحدة، ففي عام ١٩٩٧ قتلوا ٣٠٠٠ من سجناء الحرب، حسب تقارير مراقبة حقوق الإنسان، كما قاموا بتطهير عرقي جماعي في المناطق التي يشتبه في أنها تتعاطف مع الطالبان، مخلفين وراءهم عدداً من القرى التي دمرها الحريق [انظر ما كتبه تشارلز سينوت في بوستون جلوب في ٦أكتوبر، وغير ذلك].

كما يوجد كل ما يحملنا على الاعتقاد بأن إرهاب الطالبان، البشع في حد ذاته، تزايد تزايداً حاداً استجابة للتوقعات نفسها التي تسببت في هرب اللاجئين. فحين يصل اللاجئون إلى الحدود المغلقة، يحشرون؛ كي يموتوا في صمت ولا يفر سوى القليل جداً خلال ممرات جبلية بعيدة. وليس في وسعنا أن نخمن عدد من هلك. ذلك أن الشتاء القارس سوف يحل في خلال بضعة أسابيع. وهناك بعض الصحفيين وعناصر الإغاثة في معسكرات اللاجئين عبر الحدود، وما يصفونه شديد الشناعة، لكنهم يعلمون، وكذلك نحن، أنهم يرون المحظوظين من الناس، أي القليلين الذين تمكنوا من الفرار، . والذين يعبرون عن أملهم أنه ربما "حتى الأمريكيون القساة يشعرون ببعض الشفقة لبلدهم المحطم." [بوستون جلوب، ٢٧ سبتمبر، صفحة١].

ولقد تمكن برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة من إيصال مئات الأطنان من الغذاء إلى داخل أفغانستان في أوائل أكتوبر، رغم أنه قدر بأن هذا لا يصل سوى إلى ١٥ في المائة من احتياج البلاد بعد انسحاب الطاقم الدولي والتوقف عن تسليم المعونة الذي دام ثلاثة أسابيع بعد ١١ / ٩. على أي حال لقد أعلن برنامج الغذاء العالمي أنه أوقف جميع قوافل الغذاء وكل أنشطة التوزيع التي يقوم بها عاملوه المحليون بسبب الهجمات الجوية التي حدثت في ٧أكتوبر. "إن السيناريو الكابوسي عن تدفق ١,٥ مليون من اللاجئين إلى خارج البلاد تقدم خطوة نحو

الوقوع. " كما جاء فى البرنامج الأمريكى للغذاء نقلا عن مسئولى الإغاثة. وقال أحد مديرى برنامج الغذاء العالمى: إنه بعد القصف بالقنابل، فإن التهديد بوقوع كارثة إنسانية، الحاد أصلاً " تزايد فى اتساعه وضخامته إلى حد لا أريد التفكير فيه ". كما حذر متحدث عن الإغاثة الصحية التابعة للأمم المتحدة قائلاً: " نحن نواجه كارثة إنسانية ذات أبعاد ملحمية فى أفغانستان، حيث يعانى ٧,٥ مليون من نقص فى الطعام، وهم وعلى وشك المجاعة ". وتنظر جميع الوكالات إلى عمليات الإسقاط الجوى للطعام كملجأ أخير، وهى تفضل تسليم الغذاء عن طريق الشاحنات إلى حد كبير؛ إذ تقول هذه الوكالات إنه سوف يكون ممكنًا لمعظم أنحاء البلاد. وذكرت الفينانشيال تايمز أن كبار المسئولين فى إحدى الهيئات كانوا " لاذعين " "وساخرين" فى رد فعلهم على الإسقاط الجوى الأمريكى للغذاء الذى طالما بشر به، واعتبروه " لعبة دعائية أكثر من كونه طريقة لإيصال الطعام للأفغان الذين هم فى حاجة حقيقية للمعونة " هى " أداة دعائية " " تستغل المعونة الإنسانية لأغراض دعائية خبيثة " فى حين أن الهجمات الجوية " أوقفت الوسيلة الوحيدة لإيصال كميات ضخمة من الطعام للأفغان - قوافل الشاحنات البرية " التى يقدمها برنامج الغذاء العالمى. " الأمم المتحدة تعبر عن القلق فى الوقت الذى توقف فيه الهجمات الجوية جهود الإغاثة ". " يربط عمال الإغاثة بين إسقاط الطعام من الجو والغارات الجوية ". [الفينانشيال تايمز فى ٩ أكتوبر، مقتبسة عن أوكسفام، وأطباء بلا حدود، ومنظمة العون المسيحى، وصندوق إنقاذ الطفولة، ومسئولى الأمم المتحدة].

لقد كانت وكالات الإغاثة تعبر " بالنقد اللاذع عن الإنزال الليلى للطعام الذى تقوم به الولايات المتحدة ". وعلق أحد عمال الإغاثة البريطانيين فى إشارة إلى الرسائل الدعائية الموجودة على عبوات الغذاء قائلاً: " يمكنهم أيضا إسقاط المنشورات " ، ويقول مسئولو برنامج الغذاء العالمى: " سوف تطلب عمليات الإسقاط الجوى عمالاً على الأرض لجمع الطعام " ويقومون بتوزيعه " ويجب أن يتم ذلك أثناء النهار " وبإنذار مسبق بفترة كافية " ازدياد الشك فى إنزال الغذاء الذى تقوم به الولايات المتحدة " [الفينانشيال تايمز، ١٠ أكتوبر].

فإذا كانت ردود الأفعال هذه دقيقة، إذن فإن الأثر المباشر للقصف الجوى والإنزال الجوى للغذاء الذى صاحبه يقلل من فعالية إمدادات الغذاء المتاح للسكان

الذين يموتون جوعًا، على الأقل على المدى القصير، فى حين يدفع "بالسيناريو الكابوسى" خطوة نحو الواقع. ولا يسع المرء إلا أن يأمل فى أن يتوقف التعذيب قبل حدوث أسوأ المخاوف، وأن تكون فترة إيقاف الغذاء الذى تمس الحاجة إليه فترة قصيرة.

وليس من السهل على المرء أن يكون متفائلا فى هذا الأمر، إذا ما فكرنا فى الاتجاهات التى تم التعبير عنها. فمثلاً، يذكر تقرير للنيويورك تايمز فى صفحة داخلية - بشكل عرضى - أنه "حسب عملية حسابية قامت بها الأمم المتحدة، سيكون هناك ٧,٥ مليون من الأفغان قريبًا، فى حاجة شديدة إلى رغيف من الخبز . . . لكن القنابل تسقط. " إذ تناقص تسليم الغذاء بالشاحنات وهو الإسهام الوحيد المهم إلى حوالى النصف ولا يتبقى سوى أسابيع قبل أن يقلل قدوم الشتاء القارس بشكل حاد من إمكانية توزيع الطعام [بارى بيراك، ١٥ أكتوبر] وليست أمامنا حسابات بعد ذلك، وإن كان إجراؤها ليس صعبًا. ومهما كان ما سوف يحدث، فإن كون هذه هى الافتراضات التقريبية للتخطيط والتعليق لا يدع مجالاً للتعليق.

كما يجب علينا أن نتذكر أنه منذ الأيام الأولى التى تلت هجمات ١١/٩، لم يكن هناك ما يوقف عمليات إنزال الطعام جوًا للناس المحصورين داخل تلك البلاد التى أقول مرة أخرى إنهم يعذبون، وعلى ما يبدو لم يكن هناك ما يمنع تسليم الطعام بواسطة الشاحنات، كما أظهرت جهود الأمم المتحدة إمكانية ذلك قبل إيقاف هذه الوسيلة. ومهما كانت السياسات التى اتبعت من هذه النقطة فصاعدًا، فإن كارثة إنسانية قد حدثت، وسوف يقع ما هو أشد سوءًا.

وربما كان أنسب وصف لذلك هو الذى قدمته الكاتبة والناشطة الهندية الرائعة الشجاعة أرناندهاتى روى، فى إشارتها إلى العملية "عدالة بلاحدود" التى أعلنتها إدارة بوش "اشهدوا العدالة غير المحدودة فى القرن الجديد. يموت المدنيون جوعًا فى حين هم ينتظرون أن يقتلوا" [الجارديان، ٢٩ سبتمبر].

ولم يقل تمسك إدارة بوش بفاعلية هذه العبارة حتى حين يدرك متخصصو الدعاية فى الإدارة أن عبارة "العدالة غير المحدودة" توحى بإعطاء صورة ألوهية للذات، وهى أيضًا خطأ دعائى، تمامًا مثل عبارة "الحرب الصليبية". لذا تغيرت

فصارت "الحرية الدائمة" على ضوء السجل التاريخى، وهى عبارة لا تدع مجالاً للتعليق.

سؤال: لقد بينت الأمم المتحدة أن التهديد بحدوث مجاعة فى أفغانستان تهديد كبير. واشتد الانتقاد الدولى فى هذا المجال، والآن تتحدث الولايات المتحدة وبريطانيا عن تقديم المساعدة الغذائية؛ لإبعاد شبح المجاعة. هل هما تستسلمان للضغط، فى الواقع، أم من ناحية المظهر؟ وما دافعهما؟ وماذا سيكون نطاق جهودهما وأثر هذه الجهود؟

تشومسكى: تقدر الأمم المتحدة أن ما بين ٧ و٨ ملايين معرضون للمجاعة الوشيكة. وتقول النيويورك تايمز، فى مقال صغير فى ٢٥ سبتمبر: إن ما يقرب من ستة ملايين من الأفغان يعتمدون على المساعدة الغذائية التى تقدمها الأمم المتحدة، بالإضافة إلى ٣,٥ مليون فى معسكرات اللاجئين فى الخارج، هرب الكثيرون منهم قبيل إغلاق الحدود. وذكر المقال إن بعض الطعام يتم إرساله إلى المعسكرات خارج أفغانستان. ومن المؤكد أن المخططين والمعلقين عليهم أن يفعلوا شيئًا ما؛ كى يقدموا أنفسهم باعتبارهم حريصين على البشر، ويسعون إلى منع مأساة رهيبة تكشفت على الفور بعد التهديد بالقصف بالقنابل والهجوم العسكرى وإغلاق الحدود الذى طالبوا به"، كما أن الخبراء يحثون الولايات المتحدة على تحسين صورتها عن طريق زيادة المساعدات للاجئين الأفغان، وكذلك عن طريق المساعدة فى إعادة بناء الاقتصاد" [كريستيان ساينس مونيتور، ٢٨ سبتمبر]. فيجب على المسئولين فى الإدارة الأمريكية أن يدركوا أن عليهم أن يرسلوا بعض الطعام للاجئين الذين عبروا الحدود، ويقوموا على الأقل بلفتة ما نحو تقديم الغذاء للجياع فى الداخل، وعليهم أن يفعلوا ذلك دون أن يعظهم متخصصو الدعاية؛ لكى "ينقذوا الأرواح" ولكن أيضًا لكى "يساعدوا الجهود الرامية إلى العثور على جماعات الإرهاب داخل أفغانستان" [بوستون جلوب، ٢٧ سبتمبر، فى اقتباس عن مسئول فى وزارة الدفاع الأمريكية، الذى يصف هذا "بالفوز بقلوب الناس وعقولهم"] وفى اليوم التالى، التقط محررو النيويورك تايمز الموضوع نفسه، بعد ١٢ يومًا من قول الصحيفة: إن عمليات الإماتة وضعت موضع التنفيذ.

أما عن نطاق المساعدة، فليس فى وسع المرء سوى أن يأمل فى أن يكون كبيرًا، وإلا فسوف تكون المأساة الإنسانية فادحة فى خلال بضعة أسابيع. وإذا كانت

الحكومة عاقلة، فسوف يكون هناك استعراض "للإنزال الجوى الكبير" للطعام، على الأقل، الذى يذكره المسئولون، لكنهم لم ينفذوه بعد، كما حدث فى ٣٠ سبتمبر، ولم يكن ذلك بسبب الافتقار إلى الوسائل.

سؤال: من المحتمل أن تقوم المؤسسات القانونية الدولية بالمصادقة على الجهود المبذولة للقبض على ابن لادن ومحاكمته هو وغيره، على افتراض إمكان إظهار الجريمة التى ارتكبها بما فى ذلك استخدام القوة. لماذا تتحاشى الولايات المتحدة اللجوء إلى هذا النهج؟ هل هذا يرجع فقط إلى عدم الرغبة فى إعطاء الشرعية لوسيلة يمكن أن تستخدم أيضًا ضد أفعالنا الإرهابية؟ أم أن هناك عوامل أخرى تعمل عملها؟

تشومسكى: كثيرون فى العالم يطلبون من الولايات المتحدة أن تقدم بعض الأدلة التى تربط بين ابن لادن والجريمة، وإذا أمكن تقديم أدلة كهذه، فلن يكون من الصعب حشد دعم هائل وراء جهد دولى، تحت مظلة وقانون الأمم المتحدة للإمساك به ومحاكمته هو وشركاءه. وليس من المستحيل فعل ذلك بالطرق الدبلوماسية، كما كان يشير به الطالبان بطرق مختلفة، رغم أن هذه التحركات قد رفضت بازدراء لصالح استخدام القوة. ومهما يكن من أمر، فإن تقديم أدلة يمكن تصديقها ليس بالأمر البسيط. وحتى إذا كان ابن لادن وشبكته متورطين فى جرائم ١١/ ٩، فقد يكون من العسير تقديم أدلة قابلة للتصديق. وعلى حسب كل ما نعلم عن الجناة، فربما يكونون قد قتلوا أنفسهم وهم ينفذون مهماتهم الفظيعة. أما صعوبة تقديم أدلة قابلة للتصديق، فقد اتضحت فى ٥ أكتوبر حين أعلن رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير، بقدر كبير من الاستعراضية، أنه لا يوجد الآن "أى شك على الإطلاق" فى مسئولية ابن لادن وطالبان، مظهرًا توثيقًا قائمًا على ما لا بد أنه أشد جهدًا فى البحث فى التاريخ، شاملاً مصادر جميع وكالات المخابرات الغربية وغيرها. وبالرغم من المعقولية الظاهرية للاتهام، والجهد غير المسبوق لتأكيده، فإن التوثيق ضئيل بشكل يثير الدهشة. وليس فيه سوى النذر اليسير الذى يرتبط بجرائم الحادى عشر من سبتمبر، وهذا النذر اليسير لن يؤخذ بالتأكيد، على محمل الجد إذا ما قدم على أنه اتهام ضد مجرمى الدول الغربية أو عملائهم. ذلك أن صحيفة الوول ستريت چورنال تصف الوثائق وصفًا دقيقًا بأنها "أقرب إلى الاتهام منها إلى الأدلة التفصيلية" مولية التقرير صفحة أخيرة. كما تشير الصحيفة بدقة إلى أنه لا

يهم أن تكون مقتبسة من مسئول أمريكى كبير يقول: إنّ "القضية الجنائية ليست ذات صلة. فالخطة هى محو السيد ابن لادن وتنظيمه".

المهم فى الوثائق هى السماح لبلير والأمين العام لحلف الأطلنطى وغيرهما بأن يؤكدوا للعالم أن "الدليل واضح ودامغ" ومن غير المحتمل أن تكون القضية المقدمة قابلة للتصديق لدى الناس فى الشرق الأوسط، كما كتب على الفور، روبرت فيسك، أو لدى غيرهم من الذين ينظرون إلى ما وراء عناوين الصحف. وعلى النقيض من ذلك، فإن الحكومات [حكومات الشرق الأوسط] ومنظماتها لديها الأسباب الخاصة بها التى تجعلها تنضم إلى الصف. وقد يسأل المرء عن السبب الذى جعل إخصائى الدعاية فى واشنطون اختاروا بلير ليقدم القضية، ربما كان ذلك للاحتفاظ بصورة من يبقى على بعض الأدلة شديدة الإقناع "لدواعى أمنية" أو ربما على أمل أن يتمكن من الدق على وتر يذكر الناس بتشرشل.

وفى الخلفية هناك حقول ألغام أخرى يجب أن يسير المخططون من خلالها بكل عناية. ولنقتبس من أرناندهاتى روى مرة أخرى: "كان رد الطالبان على طلب الولايات المتحدة بتسليم ابن لادن ردًا معقولا، على غير المتوقع: أظهروا الدليل، وعندها سوف نقوم بتسليمه. ورد الرئيس بوش هو "أن الطلب غير قابل للتفاوض". كما أنها تضيف أنه من بين الأسباب العديدة التى تجعل هذا الإطار غير مقبول من جانب واشنطون "بينما تجرى المحادثات لتسليم كبار المسئولين التنفيذيين، هل فى إمكان الهند أن تقدم طلبًا جانبيًا لتسلم وارين أندرسون، الأمريكى؟ لقد كان رئيس مجلس إدارة شركة يونيون كاربايد، المسئولة عن تسرب الغاز فى بوبال؛ مما أدى إلى قتل ١٦٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٤. لقد قمنا بجمع الأدلة الضرورية. وهى جميعًا محفوظة فى الملفات. فهل يمكن أن تسلموه لنا من فضلكم؟".

نحن لسنا فى حاجة إلى اختراع الأمثلة. فحكومة هايتى ظلت تطلب من الولايات المتحدة تسليم إيمانويل كونستانت أحد أقسى زعماء القوات شبه العسكرية فى حين كانت إدارة بوش الأول وإدارة كلينتون تقدمان التأييد الضمنى للطغمة الحاكمة وأنصارها من الأغنياء، على العكس مما تجرى به الأوهام. وحوكم كونستانت غيابيًا فى هايتى وحكم عليه بالسجن المؤبد لما قام به من دور فى المذابح.

فهل تم تسليمه؟ وهل يثير هذا الموضوع أى اهتمام ملحوظ فى وسائل الإعلام؟ من المؤكد أن هناك أسبابًا وجيهة للإجابة بالنفى. فالتسليم قد يؤدى إلى فضح الصلات التى يمكن أن تكون محرجة فى واشنطون. وفى نهاية الأمر لقد كان شخصية رئيسية فى مقتل ٥٠٠٠ شخص فقط - إذا حافظنا على النسبة فى عدد السكان، فهم يشكلون بضعة مئات الآلاف فى الولايات المتحدة.

مثل هذه الملحوظات تثير نوبات من الحنق والغضب فى أقصى طيف أصحاب الرأى فى الغرب، الذين يسمى بعضهم "باليسار"، أما بالنسبة للغربيين الذين احتفظوا بسلامة عقولهم وتكاملهم المعنوى، وبالنسبة للكثيرين من الضحايا التقليديين، فإن هذه الوسائل مفيدة وذات معنى. ومن المفترض أن قادة الحكم يفهمون ذلك. والمثال الوحيد الذى تذكره روى ما هو إلا البداية بالطبع؛ وهو واحد من الأمثلة الصغرى ليس بسبب نطاق البشاعة فحسب، وإنما لأن هذه الجريمة لم تكن بوضوح جريمة من جرائم الدولة. فلنفترض أن إيران تطلب تسليم المسئولين فى إدارة كارتر وإدارة ريجان، مع رفض تقديم الأدلة الكافية على الجرائم التى كانوا يقومون على تنفيذها - وهى موجودة بالتأكيد؟ أو فلنفترض أن نيكاراجوا تطلب تسليم السفير المعين فى الأمم المتحدة، وهو رجل يشمل سجل خدمته على لقب "پرو كونصل" أى حاكم إدارى واسع الصلاحية، كما كان يسمى فى كثير من الأحيان فى هوندوراس الصغيرة، حيث كان يعلم بما يفعله إرهابيو الدولة - الذين كان يساندهم - من فظائع. والأهم من ذلك، فإن سجله يشتمل على واجباته كمشرف محلى على الحرب الإرهابية ضد نيكاراجوا، والتى تشن من قاعدة فى هوندوراس. فهل ستوافق الولايات المتحدة على تسليمهم؟ هل سيقابل الطلب ولو بالسخرية؟

هذه هى مجرد البداية. ويستحسن أن تظل الأبواب مغلقة، كما يفضل الاحتفاظ بالصمت المطبق الذى روعى منذ تعيين شخصية كبيرة فى إدارة العمليات التى تم إدانتها باعتبارها إرهابًا من جانب أعلى المؤسسات الدولية [يقصد محكمة العدل الدولية] والتى تقود "حربًا ضد الإرهاب" حتى چوناثان سويفت نفسه سوف يظل صامتًا. وربما يكون ذلك هو السبب الذى جعل خبراء الدعاية فى

الإدارة الأمريكية يفضلون اللفظ الغامض أى لفظ "الحرب" على اللفظ الأكثر وضوحًا "جريمة" "جريمة ضد الإنسانية" كما وصفها بدقة روبرت فيسك ومارى روبنسون وغيرهما.

سؤال: إذا سقط نظام طالبان وتم القبض على بن لادن أو أى شخص يزعمون أنه مسئول أوتم قتله، فما الخطوة التالية؟ ماذا سيحدث لأفغانستان؟ وماذا سيحدث عمومًا فى المناطق الأخرى؟

تشومسكى: يمكن أن تكون خطة الإدارة المعقولة هى متابعة البرنامج الراهن فى الإبادة العنصرية الصامتة، مصحوبًا بلفتات إنسانية؛ للفوز بتصفيق الجوقة المعتادة الذين يدعون للترنم بالثناء على الزعماء النبلاء الذين وهبوا أنفسهم "للمبادئ والقيم" لأول مرة فى التاريخ، ويقودون العالم "نحو حقبة جديدة" من المثالية والالتزام "بإنهاء الأعمال غير الإنسانية" فى كل مكان. فتركيا الآن مبتهجة إذ تنضم إلى "حرب واشنطون ضد الإرهاب" بل هى مبتهجة بإرسال قوات برية. ويقول رئيس الوزراء أجاويد: إن تركيا مدينة للولايات المتحدة "بدين خاص من العرفان" لأن "واشنطون ساندت أنقرة فى حربها ضد الإرهاب" على عكس الدول الأوروبية. إنه يشير إلى الحرب التى دامت خمسة عشر عامًا، والتى بلغت ذروتها فى أواخر التسعينيات بزيادة المعونة من الولايات المتحدة، والتى خلفت عشرات الآلاف من القتلى، وثلثى مليون من اللاجئين، ودمرت ٢٥٠٠ من القرى والبلدات. أى سبعة أضعاف ما حدث فى كوسوفو تحت القصف الذى قام به حلف الأطلنطى، كما أغدقت واشنطون الثناء والمكافأة على تركيا على انضمامها إلى الجهد الإنسانى فى كوسوفو، مستخدمة طائرات إف ١٦ نفسها التى قدمتها واشنطون، والتى استخدمتها بكفاءة فيما قامت به من عمليات هائلة من التطهير العرقى وإرهاب الدولة. وقد تحاول الإدارة أيضًا تحويل تحالف الشمال إلى قوة يمكن تنشيطها، وقد تحاول استجلاب أمراء حرب آخرين معادين لها، مثل الرجل المفضل سابقًا لدى واشنطون، قلب الدين حكمتيار الموجود حاليًا فى إيران. ومن المفترض أن تقوم القوات الخاصة الأمريكية والبريطانية بمهام داخل أفغانستان مع

القصف الانتقائى، ولكن على نطاق صغير حتى لا تعبأ قوات جديدة وراء قضية الإسلاميين المتطرفين.

ولا ينبغى أن تقارن حملات الولايات المتحدة أكثر مما يجب بالغزو الروسى الفاشل فى الثمانينيات من القرن العشرين. ذلك أن مثل هذه المقارنة سوف تكون جزافية. فالروس كانوا يواجهون جيشًا كبيراً يتكون ربما من ١٠٠٠٠٠ أو أكثر من الرجال المنظمين المدربين المسلحين تسليحًا ثقيلاً بواسطة وكالة المخابرات المركزية وشركائها. أما الولايات المتحدة فتواجه قوة متشرذمة فى بلاد قد تم تدميرها عبر ٢٠ سنة من الرعب، ولم نتحمل عن ذلك التدمير أقل قدر من المسئولية! فقوات الطالبان، بحالتها الراهنة، قد تنهار بسرعة، باستثناء نواة صلبة صغيرة. ويمكننا أن نتوقع أن يرحب ما يتبقى من السكان بقوة غازية فيما لو لم تكن مرتبطة بشكل ملموس جدًا بالعصابات الإجرامية التى مزقت البلاد إربًا قبل استيلاء الطالبان عليها. عند هذه النقطة، من المحتمل أن يرحب الكثير من الناس بجنكيز خان.

وماذا بعد ذلك؟ كان الأفغان خارج الوطن، وعلى ما يبدو بعض العناصر الداخلية التى ليست جزءًا من الدوائر الخاصة فى طالبان، يطالبون بجهد تقوم به الأمم المتحدة لإقرار نوع من الحكومة الانتقالية. وهذه عملية يمكن أن تنجح فى إعادة بناء شىء قابل للعمل من بين الركام، إذا ما زود بمساعدة كبيرة للتعمير تمر من خلال مصادر مستقلة مثل الأمم المتحدة أو المنظمات غير الحكومية الموثوق بها. يجب أن يكون هذا القدر هو الحد الأدنى من المسئولية من جانب أولئك الذين أحالوا هذا البلد الذى هده الفقر، إلى أرض للإرهاب واليأس والجثث والضحايا المشوهة. يمكن لهذا أن يحدث، ولكن ليس بدون جهد شعبى كبير فى المجتمعات الغنية والقوية. أما فى الوقت الحاضر، فإن أى نهج كهذا قد تم استبعاده من جانب إدارة بوش، التى أعلنت أنها لن تشترك فى "بناء للأمة" أو أن ذلك هو ما يبدو حتى الآن ٣٠ سبتمبر، وهو جهد يكون أكثر كرامة وإنسانية: الدعم الكبير دون تدخل من أجل "بناء الأمة" بواسطة الآخرين، الذين قد يحققون بعض النجاح فى هذا المشروع الكبير. ولكن الرفض الحالى للنظر فى النهج السليم ليس محفوراً على الحجارة. أما ما يحدث فى المناطق الأخرى، فهذا يتوقف على العوامل الداخلية وعلى سياسات الفاعلين الأجانب، وأولهم الولايات المتحدة لأسباب واضحة، كما يتوقف على سير الأمور فى أفغانستان. ولا يمكن للمرء أن يقول الكثير بكثير من الثقة، ولكن بالنسبة للكثير من السبل الممكنة، نستطيع القيام بتقييمات معقولة

عن النتيجة المحتملة - وهناك الكثير جداً من الإمكانيات، بل هى أكثر من إمكان استعراضها فى تعليقات موجزة.

سؤال: لقد تبادلت الولايات المتحدة المواقع فجأة مع عدد من الدول فى الشرق الأوسط، وأفريقيا وآسيا، عارضة تنويعة من الصفقات النقدية والسياسية والعسكرية مقابل أشكال من الدعم، وذلك كى تشكل تحالفًا دوليًا. كيف يمكن لهذه التحركات المفاجئة أن تؤثر فى الدينميات السياسية فى هذه الأقاليم؟

تشومسكى: إن واشنطون تخطو ببطء وتؤدة. إذ علينا أن نتذكر ما هو عرضة للخطر. هناك احتياطى الطاقة الكبير فى العالم، بصفة رئيسية فى السعودية، وكذلك فى كل أنحاء منطقة الخليج، بالإضافة إلى موارد لا يستهان بها فى وسط آسيا. وبالرغم من أن أفغانستان تعد عاملاً أقل أهمية، إلا أنها كانت موضع نقاش لسنوات باعتبارها موقعًا محتملاً لأنابيب النفط، تعين الولايات المتحدة فى المناورة المعقدة من أجل التحكم فى موارد وسط آسيا. ذلك أن الدول الواقعة إلى الشمال من أفغانستان دول هشة وتتسم بالعنف. وأهمها أوزبكستان. ولقد كانت موضع استنكار من منظمة مراقبة حقوق الإنسان لما ترتكبه من فظائع خطيرة وهى تقاتل لمنع القلاقل التى تثيرها الجماعات الإسلامية بها. ووضع طاچيكستان مشابه، كما أنها منفذ لتجارة المخدرات إلى أوروبا، وعلى الأخص فى ما يرتبط بصلتها مع تحالف الشمال الذى يتحكم فى جزء كبير من الحدود بين طاچيكستان وأفغانستان وعلى ما يبدو أنه كان المصدر الكبير للمخدرات، منذ أن قضى الطالبان تقريبًا على زراعة الخشخاش. ومن الممكن أن يؤدى فرار الأفغان إلى الشمال إلى جميع صنوف المشكلات الداخلية. فباكستان - التى كانت المؤيد الرئيسى للطالبان - بها حركة إسلامية متطرفة قوية. ولا يمكن توقع ردود أفعالها، وتحمل ما تحمل من الخطورة، إذا ما استخدمت باكستان بشكل ملحوظ قاعدة لعمليات الولايات المتحدة فى أفغانستان؛ وهناك الكثير من النصح الرشيد السديد فيما يتعلق بامتلاك باكستان للسلاح النووى. فبينما يتوق العسكريون الباكستانيون إلى الحصول على المساعدة العسكرية من الولايات المتحدة التى وعدوا بها فعلاً، إلا أنهم حذرون بسبب العلاقات العاصفة فى الماضى، كما أنهم قلقون من وجود أفغانستان متحالفة مع

عدوهم فى الشرق، أى الهند. ولا يسرهم أن يقود الطاچيك والأزبك وغيرهما من الأقليات المعادية لباكستان تحالف الشمال، فى حين تؤيد هذه الأقليات الهند وإيران وروسيا، والولايات المتحدة الآن أيضًا.

" وفى منطقة الخليج، هناك شعور بالمرارة حتى من جانب العناصر الغنية العلمانية بسبب سياسات الولايات المتحدة، وكثيرًا ما يعبرون بهدوء عن تأييدهم لابن لادن، الذى يمقتونه ولا يوافقون على النظر إليه باعتباره "ضميرًا للإسلام" [النيويورك تايمز، ٥ أكتوبر، اقتباسًا عن محام دولى عن الشركات متعددة الجنسية والذى تدرب فى الولايات المتحدة]. يعبرون عن تأييدهم بهدوء لأن هذه الدول دول قمعية؛ ومن بين العوامل التى أدت إلى هذا الشعور العام بالمرارة نحو الولايات المتحدة تأييدها لهذه النظم القمعية. ومن الممكن أن ينتشر الصراع الداخلى بسهولة؛ مما يؤدى إلى عواقب وخيمة، خاصة إذا ما نجم عن هذا تهديد لسيطرة الولايات المتحدة على الموارد الهائلة فى المنطقة. وهناك مشكلات مشابهة تمتد إلى شمال أفريقيا وجنوب شرق آسيا، وعلى الأخص إندونيسيا. وحتى إذا ما جنبنا الصراع الداخلى، فإن التدفق المتزايد للتسلح فى دول المنطقة يزيد من احتمال الصراع المسلح وتدفق السلاح للتنظيمات الإرهابية وتجار المخدرات. وتتوق الحكومات إلى الانضمام إلى الولايات المتحدة فى "الحرب ضد الإرهاب"؛ كى تحصل على التأييد لما تمارسه هذه الحكومات من إرهاب دولة، الذى كثيرًا ما يكون على نطاق يبعث على الصدمة كروسيا وتركيا، إذا ما اكتفينا بذكر أوضح مثالين، بالرغم من أن تركيا استفادت دائمًا من دعم الولايات المتحدة الحاسم.

سؤال: إن باكستان والهند، اللتين لهما حدود مشتركة، كما أنهما تتسلحان نوويًا، كان بينهما صراع خطير منذ سنوات. كيف يمكن للضغط المفاجئ الحاد الذى تمارسه الولايات المتحدة فى المنطقة أن يؤثر فى علاقتهما المتوترة أصلاً؟

تشومسكى: إن المصدر الرئيسى للصراع هو كشمير، حيث تزعم الهند أنها تكافح ضد الإرهاب الإسلامى، وتزعم باكستان أن الهند تأبى منح حق تقرير المصير، وأنها نفذت هى نفسها إرهابًا واسع النطاق. وللأسف، فإن جميع المزاعم صحيحة فى أساسها. ولقد كانت هناك العديد من الحروب بسبب كشمير، آخرها فى ١٩٩٩، حين كانت الأسلحة النووية متاحة للبلدين؛ ولحسن الحظ، أمكن التحكم فيهما، غير أن ذلك لا يكاد يكون مضمونًا. ذلك أن التهديد بالحرب

النووية من المحتمل أن يزداد إذا واصلت الولايات المتحدة عسكرة برامج الفضاء التى توصف على سبيل التخفيف "بالدفاع الصاروخى". وتشمل هذه البرامج أصلاً دعم التوسع فى قوات الصين النووية، للحصول على قبول الصين بإذعان لهذه البرامج. ومن المفترض أن تحاول الهند معادلة توسع الصين، ثم باكستان وغيرهما، بما فى ذلك إسرائيل. لقد وصف الرئيس السابق للقيادة الاستراتيجية الأمريكية قدرات الهند النووية بأنها "بالغة الخطورة" وبأنها واحدة من أول التهديدات فى المنطقة. كلمة "ملتهبة" كلمة صائبة وربما هناك كلمة أشد سوء.

سؤال. قبل ١١/٩ كانت إدارة بوش تتعرض لانتقاد شديد، حتى من جانب الدول الحليفة؛ بسبب "أحاديتها" السياسية - كرفضها التوقيع على بروتوكول كيوتو الخاص بالاحتباس الحرارى، والنية فى خرق معاهدة منع الصواريخ البالستية؛ لكى تعسكر الفضاء ببرنامج دفاع صاروخى، والانسحاب من المؤتمر المناهض للعنصرية فى ديربان بجنوب أفريقيا، وهذه مجرد بضعة أمثلة حديثة. ألا يمكن أن يولد الجهد المفاجئ لبناء التحالف "اتجاهًا تعددى الجوانب" جديدًا يمكن أن تحدث فيه تطورات إيجابية غير متوقعة - كالتقدم فى القضية الفلسطينية؟

تشومسكى: يجدر بنا أن نتذكر أن "أحادية" بوش كانت امتدادًا لممارسة معتادة. ففى ١٩٩٣، أبلغ كلينتون الأمم المتحدة بأن الولايات المتحدة سوف تتصرف كما فعلت من قبل "بصورة متعددة الجوانب حين يكون ذلك ممكنًا، ولكن بصورة انفرادية حين يكون ذلك ضروريًا" ومضت فى ذلك النهج. وكررت هذا الموقف سفيرة أمريكا فى الأمم المتحدة مادلين أولبرايت، كما كرره وزير الدفاع ويليام كوهين، عام ١٩٩٩؛ إذ صرح بأن الولايات المتحدة ملتزمة "بالاستخدام المنفرد للقوة العسكرية" للدفاع عن المصالح الحيوية، التى تشمل "ضمان الوصول بلا عوائق للأسواق الرئيسية، وإمدادات الطاقة، والموارد الاستراتيجية" وأى شىء، قد ترغب واشنطون فى أن يكون ضمن حكمها. لكن من الصحيح القول بأن بوش ذهب إلى أبعد من ذلك، مسببًا قدرًا كبيرًا من القلق بين الحلفاء. ربما تخفف الحاجة الراهنة إلى تكوين ائتلاف من حدة الخطاب، ولكن من غير المحتمل أن تغير من السياسات. إذ أن المنتظر من أعضاء التآلف أن يكونوا مؤيدين صامتين مطيعين، لا أن يكونوا شركاء. فالولايات المتحدة تحتفظ لنفسها بوضوح بالحق فى التصرف كما

تشاء، وهى تتحاشى بعناية أى لجوء له معنى للمؤسسات الدولية، حسب ما يتطلب القانون. هناك لفتات تفيد بالعكس، غير أنها تفتقر إلى أى مصداقية، وإن كانت الحكومات من المفترض أن تقبلها، انحناء للقوة كما تفعل بانتظام للأسباب الخاصة بها! ومن غير المحتمل أن يحصل الفلسطينيون على أى شىء. بل على العكس، فإن الهجوم الإرهابى فى الحادى عشر من سبتمبر كان ضربة قاصمة لهم، كما فهموا ذلك مباشرة هم وإسرائيل.

سؤال: منذ٩/١١، ظل وزير الخارجية كولين باول يرسل إشارات بأن الولايات المتحدة قد تتخذ موقفًا جديدًا بالنسبة لمحنة الفلسطينيين. فما قراءتك لذلك؟

تشومسكى: إن قراءتى هى بالضبط قراءة المسئولين وغيرهم من المصادر التى اقتبست أقوالها قرب نهاية موضوع الصفحة الأولى فى النيويورك تايمز. إذ أنهم أكدوا على أن بوش وباول لم يذهبا بعيداً، ولو إلى القول بمقترحات كلينتون فى كامب داڤيد، التى تمتدح هنا، بصفة عامة، ولكنها مرفوضة تمامًا لأسباب نوقشت مناقشة دقيقة فى إسرائيل وفى غير إسرائيل، وكما يمكن للمرء أن يرى عند النظر إلى إحدى الخرائط، وأظن أن هذا أحد الأسباب الذى يجعل من الصعب العثور على الخرائط هنا، وإن لم يكن ذلك صعبًا فى أماكن أخرى بما فيها إسرائيل. ويمكن للمرء أن يجد تفاصيل أكثر عن ذلك فى المقالات التى كتبت فى وقت كامب داڤيد، بما فى ذلك مقالات كتبتها أنا، وفى مجموعة المقالات التى حررها رون كيرى بعنوان الانتفاضة الجديدة.

سؤال: إن التدفق الحر للمعلومات واحد من الخسائر الأولى لأى حرب. فهل الوضع الحالى يعد استثناء بأى معنى من المعانى؟ وهل هناك أية أمثلة؟

تشومسكى: نادراً ما ترجع العراقيل التى توضع أمام التدفق الحر للمعلومات فى بلاد كالولايات المتحدة إلى الحكومة، وإنما إلى الرقابة الذاتية من النوع المألوف. والموقف الراهن ليس استثناء من ذلك - بل هو أفضل من الأسلوب المتبع إلى حد كبير، حسب رأيى. ومع ذلك، هناك أمثلة مثيرة على جهود حكومة الولايات المتحدة للحد من التدفق الحر للمعلومات فى الخارج. كان فى العالم العربى مصدر إخبارى حر مفتوح، هو القناة الإخبارية التلفزيونية الفضائية، الجزيرة فى قطر،

التى تتخذ من هيئة الإذاعة البريطانية نموذجًا لها، ولها عدد كبير من المشاهدين فى أنحاء العالم الناطق باللغة العربية. فهى المصدر الوحيد للمعلومات غير الخاضع للرقابة، والذى يحمل قدراً كبيراً من الأخبار المهمة، وكذلك النقاشات التى تجرى على الهواء، مع تنوع كبير فى الآراء بالقدر الذى شمل آراء كولين پاول قبل ١١/ ٩ ببضعة أيام ورئيس الوزراء الإسرائيلى باراك وكذلك أنا، أقول ذلك؛ كى أعلن عن اهتمامى، كما أن الجزيرة "المنظمة الإخبارية الدولية الوحيدة التى تحتفظ بمراسلين فى الجزء الذى تتحكم فيه طالبان [صحيفة وول ستريت چورنال]. لقد كانت، مثلاً، مسئولة عن التصوير المنفرد لتدمير التماثيل البوذية الذى أغضب العالم، بحق. كما قدمت مقابلات مطولة مع ابن لادن التى أثق فى أنها محصت جيداً من جانب وكالات المخابرات الغربية، كما أنها لا تقدر بثمن بالنسبة لغيرها ممن يريدون فهم ما يفكر فيه. لقد ترجمت هذه المقابلات وأعيدت إذاعتها فى هيئة الإذاعة البريطانية أو الكثير منها منذ ١١ / ٩ .

ومن الطبيعى أن تشعر الدكتاتوريات فى المنطقة بالحقد والخوف من الجزيرة، على الأخص؛ بسبب فضحها الصريح لسجلاتها فى مجال حقوق الإنسان. ولقد انضمت الولايات المتحدة إليهم. إذ تذكر هيئة الإذاعة البريطانية أن "الولايات المتحدة ليست أول من يشعر بالضيق من تغطية الجزيرة للأخبار، التى أثارت فى الماضى الغضب فى الجزائر، والمغرب والسعودية والكويت ومصر؛ بسبب إفساحها زمن الهواء للمنشقين". ولقد أكد أمير قطر "أن واشنطون طلبت من قطر أن تكبح جماح محطة الجزيرة ذات النفوذ والمستقلة من حيث التحرير" كما ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية. والأمير الذى يرأس أيضًا منظمة المؤتمر الإسلامى التى تضم ٥٦ دولة، أخبر الصحافة فى واشنطون أن وزير الخارجية الأمريكية پاول، ضغط عليه كى يكبح جماح الجزيرة، أى أن "يقنع الجزيرة بأن تخفض من تغطيتها" كما تقول قناة الجزيرة. وحين سُئل الأمير عن تقارير الرقابة، قال: "هذا صحيح. سمعنا من الإدارة الأمريكية، وكذلك من الإدارة السابقة" [هيئة الإذاعة البريطانية، ٤ أكتوبر، مقتبسة عن رويترز].

إن التقرير الوحيد الجاد الذى لاحظته عن هذا النبأ بالغ الأهمية يوجد فى صحيفة وول ستريت جورنال ٤ أكتوبر، الذى يصف أيضًا ردود أفعال المفكرين

والدارسين فى أنحاء العالم العربى. "مخيف حقًا" إلخ. ويضيف التقرير، كما فعلت الصحيفة من قبل، "إن الكثيرين من المحللين العرب جادلوا، بأنه فى نهاية الأمر، فإن إهمال واشنطون الواضح لحقوق الإنسان فى الدول الموالية رسميًا لأمريكا مثل السعودية هو الذى يشعل نار الكراهية المتفشية لأمريكا".

لقد كان هناك دائمًا استخدام قليل بشكل ملحوظ للمقابلات التى أجريت مع ابن لادن، وغير ذلك من المواد الآتية من أفغانستان والتى أتاحتها الجزيرة. وبعد أن أذاعت الجزيرة شريطًا لابن لادن عظيم الفائدة للدعاية الغربية، وكتب عنها فورًا فى الصفحات الأولى، صارت هذه القناة شهيرة. وكتبت النيويورك تايمز موضوعًا إخباريا عنوانه "محطة عربية تقدم تغطية من الموقع" [إلين سيلينو، ٩ أكتوبر] وأثنى التقرير على القناة باعتبارها "معارضة فى العالم العربى، مع برامج إخبارية وشئون عامة على مدار الساعة تصل إلى ملايين المشاهدين". "لقد كونت هذه الشبكة سمعة باعتبارها تقدم تقارير مستقلة من مواقع الأحداث، تختلف اختلافًا حادًا عن محطات التلفزيون الناطقة باللغة العربية". وقد "ركزت على موضوعات تعد مثيرة للقلاقل فى معظم أنحاء العالم، مثل: غياب المؤسسات الديموقراطية، واضطهاد المنشقين السياسيين، وعدم مساواة المرأة." ويشير الموضوع الإخبارى أن "صناع السياسة الأمريكية قد أزعجهم كل ما تذيعه الجزيرة" عن مقابلات ابن لادن و "الخطابة المعادية لأمريكا" التى يقدمها المحللون والضيوف "والمشاهدون الذين يتحدثون فى البرامج عن طريق التليفون." أما الباقى فلم يذكر، مع أنه كان هناك تحذير خفيف فى اليوم التالى. إذن، الإجابة هى نعم، هناك حواجز تحول دون التدفق الحر للمعلومات، لكن اللوم فى ذلك لا يقع على الرقابة الحكومية أو الضغط الحكومى، وهذا عامل هامشى جدًا فى الولايات المتحدة.

سؤال: ماذا فى اعتقادك يجب أن يكون دور وأولوية الناشطين الاجتماعيين المهتمين بالعدالة فى هذا الوقت؟ هل يجب أن نحد من انتقاداتنا، كما زعم البعض؟ أم أن هذا وقت للجهود المتجددة الكبيرة، ليس لأنها أزمة يمكن أن نحاول بشأنها أن يكون لنا أثر إيجابى، ولكن أيضًا لأن قطاعات كبيرة من الجمهور بلغت بالفعل حدًا من الإدراك أكبر من المعتاد، بحيث تكون قادرة على المناقشة والاستكشاف، حتى لو كانت هناك قطاعات أخرى معادية لا تتزحزح عن مواقفها؟

تشومسكى: يتوقف الأمر على ما يحاول هؤلاء الناشطون تحقيقه. فإذا كان هدفهم هو تصعيد دائرة العنف وزيادة احتمال وقوع المزيد من الفظائع كما حدث في الحادى عشر من سبتمبر - وللأسف، ربما أحداث أشد سوءًا يألفها الكثيرون فى أنحاء العالم - إذن عليهم بالتأكيد أن يحدوا من تحليلاتهم وانتقاداتهم ويرفضوا التفكير، ويقللوا من انهماكهم فى القضايا الجادة التى ينشغلون بها. والنصيحة تقدم نفسها لهم إذا ما كانوا يريدون مساعدة أشد العناصر رجعية وتخلفًا فى جهاز السلطة السياسية والاقتصادية على تنفيذ خطط تضر الناس ضررًا بليغًا هنا وفى الكثير من أجزاء العالم، بل قد يهددون بقاء الإنسانية. وعلى العكس، إذا كان هدف الناشطين الاجتماعيين التقليل من احتمال وقوع المزيد من الأعمال البشعة وتقوية الأمل فى الحرية وحقوق الإنسان والديموقراطية، إذن عليهم اتباع النهج المعاكس. عليهم تشديد جهودهم للاستفسار عن العوامل التى تكمن وراء هذه الجرائم وغيرها من الجرائم، ويكرسون أنفسهم من أجل القيام بالمزيد من الطاقة لخدمة الأهداف العادلة التى التزموا بها أصلاً. عليهم أن يصغوا حين يلح أسقف مدينة سان كريستوبال بجنوب المكسيك، يلح على سكان أمريكا الشمالية، يعنى الولايات المتحدة وكندا، بأن يتأملوا فى السبب الذى جلب عليهم كل هذا الكره " ذلك أن هذا الأسقف قد نال حظه من البؤس والظلم -بعد أن " ولّدت الولايات المتحدة كل هذا القدر من العنف لحماية مصالحها الاقتصادية " [ماريون لويد، ميكسيكو سيتى، بوستون جلوب، ٣٠ سبتمبر].

من المؤكد أنه من المريح لنا الإصغاء إلى كلمات المعلقين الليبراليين (المتحررين) الذين يؤكدون لنا " أنهم يكرهوننا؛ لأننا ننادى بنظام عالمى جديد، من الرأسمالية والفردية والعلمانية والديموقراطية التى ينبغى أن تكون هى المعيار فى كل مكان". [رونالد ستيل، النيويورك تايمز، ١٤ سبتمبر]، أو أنتونى لويس، الذى يؤكد لنا أن المغزى الوحيد لسياساتنا الماضية، هو أنها " تؤثر تأثيرًا سلبيّا على اتجاهات الرأى العام فى العالم العربى فى الجهد الذى يقوم به الائتلاف فى محاربة الإرهاب [نيويورك تايمز، ٦ أكتوبر] فهو يعلن بثقة أن ما فعلناه كان من الممكن ألا يكون له أى أثر فى أهداف الإرهابيين. فما يقولونه عديم المغزى تمامًا بحيث يمكن تجاهله، كما أننا يمكننا أن نرفض التوافق بين ما كانوا يقولون والأعمال المحددة التى قاموا بها

على مدى العشرين سنة التى تفشى فيها الإرهاب. والكلام لا غموض فيه، وقد نقله بتوسع صحفيون جادون وعلماء. إن الحقيقة التى ليست فى حاجة إلى دليل أو حجة، هى أن الإرهابيين "يسعون إلى التحول العنيف لعالم مزمن فى الخطيئة والظلم" ولا يمثلون سوى "العدمية المدمرة" [اقتباس عن ميكل اجناتييف، بعد أخذ موافقته]. وليس فى وسع أهدافهم المعلنة أو أفعالهم ولا هو فى وسع الاتجاهات الواضحة الصريحة التى يتبناها سكان المنطقة - بما فى ذلك الكويتيون المؤيدون لأمريكا - أن يحدثوا أقل فرق. فعلينا، إذن أن نغض الطرف عن أى شيء فعلناه، يمكن أن يثير هذه الاستجابات. لا شك فى أن هذا أكثر مدعاة للراحة، لكنه ليس أكثر حكمة إذا كنا نهتم بما يواجهنا فى المستقبل. ومن المؤكد أن الفرص موجودة. ذلك أن صدمة الجرائم المريعة جعلت بالفعل قطاعات طليعية تنفتح على نوع من التفكير كان من الصعب تخيله من زمن قريب، والصحيح أيضًا أن هذا حدث بين عامة الناس. فمن واقع التجربة الشخصية فقط، وبجانب المقابلات المستمرة تقريبًا مع محطات الإذاعة والتلفزيون والصحف فى أوروبا وغيرها، قد أصبحت لدى صلات كبيرة مع وسائل الإعلام فى الولايات المتحدة أكثر من أى وقت مضى، وآخرون غيرى يعبرون عن التجربة نفسها.

بالطبع سيكون هناك من يطالبنا بالصمت والطاعة. فنحن نتوقع ذلك من اليمين المتشدد، كما أن أى شخص لديه إلمام قليل بالتاريخ سوف يتوقع هذا من بعض المفكرين اليساريين أيضًا، وربما بشكل أكثر عنفًا. لكن الأمر المهم هو ألا يرهبنا الحديث الهيستيرى المتشنج والأكاذيب؛ كى نظل قريبين بقدر الإمكان من الحقيقة والأمانة، والاهتمام بما سوف يقع على الإنسانية بسبب ما يمكن أن يفعله المرء أو يقصر فى فعله. كل هذه بديهيات، ولكنها جديرة بأن نضعها نصب أعيننا. إذ من خلف البديهيات، نوجه انتباهنا إلى مسائل محددة، للفهم والعمل.

* * *

٨

حوار مع عادل المعلم

من خلال الإنترنت فى سبتمبر ٢٠٠٢

سؤال : نعانى فى الشرق الأوسط من سيطرة الحكومات على وسائل الإعلام، التى هى فى الواقع مؤسسات حكومية، ولكن تبين أنكم فى الولايات المتحدة تعانون أيضا من الإعلام الحر، أو مما قد نسميه التيار الرئيسى للإعلام الحر، مع فارق أن ذلك التيار الرئيسى للإعلام الحر، أكثر فعالية وتشكيلا للمتلقين من الإعلام الحكومى المتهافت. فما تعليقك؟

تشومسكى: من الصعوبة بمكان التعميم فى مقارنة الإعلام الذى تسيطر عليه الحكومات بالإعلام الذى تسيطر عليه المؤسسات [تجارية - صناعية - سياسية] فذلك يعتمد - لحد كبير - على المجتمع، ومستوى الحرية الذى اكتسبه، تقليديًا بعد صراع شعبى طويل ومرير. ويمكننا التفكير فى الـ B . B . C كمثل لإعلام تسيطر عليه الحكومة، ولكنه - فى رأيى - أفضل بكثير من أى إعلام فى الولايات المتحدة، ويمكن القول بما يشبه ذلك عن الإعلام الحكومى فى الدول التى حصلت شعوبها على مستويات عالية من الحرية.

وطبقًا لبعض المعايير، مثّل القرن التاسع عشر أعظم فترات حرية الإعلام فى إنجلترا والولايات المتحدة، وذلك قبل تأثير كل من تركيز رأس المال، والتمويل الإعلاني، والذى طرد الإعلام المستقل - الرفيع المستوى والذى يتمتع بشعبية كبيرة - والذى لا يستطيع أن ينافس تحت تلك الظروف.

أما فيما يخص «تشكيل المتلقين» فمن المهم معرفة أن الشخصيات القائدة فى

مجال الإعلام تنظر لذلك على أنه «الدور الحاسم» للإعلام. وكما قد تعلم، فإنى اشتركت فى تأليف كتاب «صناعة الموافقة»، ولكننا لم نخترع المصطلح، بل استعرناه من والتر ليبمان، الذى قد يكون أبرز شخصية إعلامية، وأكثرها احترامًا، وثقافة، فى أمريكا القرن العشرين.

وهو لم يكن فقط يصف الظاهرة، ولكنه يروج بها، كواحدة من أساسيات الديمقراطية التى يراها: بما يعنى حكم الصفوة مع اختزال الجمهور إلى دور المشاهد، باستثناء اختيار من آن لآخر بواسطة «الرجال ذوى المسئولية» فيما يسمى «الانتخابات».

ومع هذا، فالإعلام الذى تسيطر عليه الحكومات فى مجتمعات ذات حريات قليلة، هو بصفة عامة إعلام شرير.

سؤال: إذًا فما هى فرص وصول الحقيقة للجمهور؟ وكيف يمكن زيادة تلك الفرص؟

تشومسكى: بنفس الطريقة التى حصلت بها الشعوب على حرياتها، يمكن زيادة فرص معرفة الحقيقة، وبدون صراع طويل يتخلله هزائم وانتصارات، لا توجد مفاتيح سحرية لذلك... هناك فقط الإخلاص فى الصراع: التعليم، التنظيم، الفعل.. طبقًا للملابسات والظروف.

سؤال: تكلمت فى كتابك ٩/ ١١ عن «ثقافة الإرهاب المتغلغلة فى أعماق الغرب»، وعن «طبيعة الحضارة الغربية»، فهل يمكنك القاء مزيد من الضوء على ذلك؟

تشومسكى: طبيعة الحضارة الغربية تحتاج مؤلفات. أما الطبيعة الإرهابية المتعمقة فى تلك الحضارة، فقد تناولتها عدة كتب، منها ما ذكرته فى خطابك لى [ماذا يريد العم سام؟ - المصير المشئوم - ٩ / ١١]، وغيرها مثل: ثقافة الإرهاب. يمكننى سرد قائمة طويلة بالكتب والمقالات، لى ولغيري، التى وثّقت الإرهاب الغربي، وحتى اللحظة الحالية، ومن قديم التاريخ.

واكتفاءً بمثال واحد، الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى أدانتها محكمة العدل الدولية بتهمة «الاستخدام غير القانونى للقوة»، ويعنى ذلك: الإرهاب الدولي. كذلك أمرت المحكمة بأن تكف الولايات المتحدة عن ذلك. واستخدمت الولايات المتحدة «الفيتو» لمنع مجلس الأمن من استصدار قرار يدعو جميع الدول - والمقصود هو الولايات المتحدة - لاحترام القانون الدولي، طبقا لما حكمت به محكمة العدل الدولية!

لقد مرت ٤٠ سنة منذ أمر چون كنيدى بإطلاق «كل قوى الإرهاب على الأرض - **Terrors of The Earth**» ضد كوبا، لعقابها على تحديها الناجح للولايات المتحدة، المتمثل فى عدم إطاعتها للأوامر.

الأمثلة أكثر من أن تعد وتحصى، ولا تنفرد بها الولايات المتحدة عن بقية الغرب.

سؤال: بعد كل الجرائم التى ارتكبتها إسرائيل فى الأراضى المحتلة، هل تغير الرأى العام الأمريكي؟ وإذا لم يكن تغير، فكيف يمكننا أن نفهم هذا فى الشرق الأوسط؟ وإذا كان الرأى العام تغير، فهل لذلك أى تأثير على السياسة الخارجية لأمريكا فى الشرق الأوسط؟

تشومسكى: تؤيد غالبية الشعب الأمريكى ما يسمى «الخطة السعودية»، وتعتقد أن على الولايات المتحدة أن تزيد من التزامها بتقدم «عملية السلام»، ولكن ليس للجمهور وسيلة لمعرفة التناقض فى ذلك. الخطة السعودية هى تعبير مكرر لما اتفق عليه المجتمع الدولى من تسوية «الدولتان» [دولة إسرائيل ودولة فلسطين]، ذلك الاتفاق الدولى الذى تمنعه الولايات المتحدة من جانب واحد! ولكن لا يستطيع الناس فى الولايات المتحدة معرفة تلك التفاصيل، إلا إذا تناولوا الإعلام المعارض، صحافة أو كتب، والتى لا تظهر فى التيار الرئيسى للإعلام لأنها توغلت بعيداً عن المسار الضيق الذى اتفقت عليه الصفوة.

أغلبية الشعب أيدت - وباستمرار - الاتفاق الدولى، ولكن لم تعلم أن حكومتها هى العائق الرئيسى أمام تحقيقه! نفس الأمر بالنسبة للجرائم فى الأراضى المحتلة، ليس فقط الآن، بل ومنذ عقود. الولايات المتحدة تؤيدها، فهى إذاً ليست جرائم،

وإنما ـ كما تصورها مرشحات التيار الرئيسى للإعلام ـ دفاع عن النفس! وليست إسرائيل هى المستفيد الوحيد من أمثال تلك الممارسات، فاليوم ـ ١٣ سبتمبر ٢٠٠٢ ـ وعلى سبيل المثال، أعلنت وزارة الخارجية تأييدها القوى لإرهاب الدولة الذى تمارسه الصين ضد الأوجور (وسمته الدفاع ضد إرهاب الأوجور) فى وثيقة تنضح بالأكاذيب، حتى أن النيويورك تايمز ـ المطاوعة فى العادة ـ أبدت تحفظاتها.

السجل طويل، ومتوافق، وبالطبع ليس فقط فى الولايات المتحدة [داخل العالم الغربى].

سؤال: معظم شعوب الشرق الأوسط ترفض وتستنكر السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى المنطقة بسبب تحيزها لإسرائيل، وبسبب تأييدها لحكومات تسلطية فى المنطقة. هل تعرف واشنطون ذلك؟ وهل تحاول معالجته؟ أم أنها تقصد ذلك؟ أو أنها لا تأبه لمشاعر الشعوب؟

تشومسكى: بالطبع واشنطون تعرف ذلك، ويرجع هذا قديما حتى قبل أن يصبح تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل قضية رئيسية.

فعلى سبيل المثال، فى عام ١٩٥٨، ناقش ـ سريًا ـ الرئيس أيزنهاور مع مستشاريه «حملة الكراهية ضدنا» فى العالم العربي، ليس من الحكومات، ولكن من الشعوب. وأفاده مجلس الأمن القومى بالأسباب: معرفة الشعوب أن الولايات المتحدة تؤيد الأنظمة المستبدة الفاسدة، القاسية، وتعيق الديمقراطية وتعيق التنمية، لحرصها على السيطرة على مصادر البترول فى المنطقة.

استمر ذلك حتى اليوم، مع الغضب من بعض السياسات الأمريكية الخارجية، مثل ما يخص إسرائيل وفلسطين.

الحقائق معروفة (ولكن ثانيًا، ليس للعامة). والأسباب أيضا معروفة.

ولكن مشاعر شعوب الشرق الأوسط، فما هى إلا عامل ثانوى فى الاختيارات السياسية، وأيضا مجددا، ليست الولايات المتحدة استثناء [من العالم الغربي] فى ذلك الخصوص.

ملحق

تقرير وزارة الخارجية عن المنظمات الإرهابية الأجنبية

أصدره مكتب منسق مكافحة الإرهاب فى ٥ أكتوبر ٢٠٠١

مقدمة:

يحدد وزير الخارجية المنظمات الإرهابية الأجنبية بالتشاور مع النائب العام ووزير الخزانة. ويتم هذا التصنيف بمقتضى قانون الجنسية والهجرة حسب تعديل قانون مكافحة الإرهاب وعقوبة الإعدام لعام ١٩٩٦. يعد تصنيف المنظمات الإرهابية الأجنبية ساريًا لمدة عامين، بعدها يجب إعادة تصنيفها أو تنتهى من تلقاء ذاتها أوتوماتيكيًا. ويُعتبر إعادة التصنيف بعد عامين عملاً إيجابيًا، ويبين تقرير من جانب وزير الخارجية بأن المنظمة استمرت فى التورط فى النشاط الإرهابى وما زالت المعايير التى حددها القانون تنطبق عليها.

فى أكتوبر ١٩٩٧، وافقت وزيرة الخارجية السابقة مادلين ك. أولبرايت على تصنيف أول ٣٠ مجموعة باعتبارها منظمات إرهابية أجنبية. وفى أكتوبر ١٩٩٩، أعادت الوزيرة أولبرايت تثبيت ٢٧ من هذه المجموعات، ولكن سمحت بإسقاط ٣ من هذه المجموعات من القائمة؛ لأن تورطها فى النشاط الإرهابى قد انتهى ولم تعد معايير التحديد تنطبق عليها. وأدرجت وزيرة الخارجية أولبرايت تنظيمًا جديدًا فى ١٩٩٩ (القاعدة) وتنظيمًا آخر فى عام ٢٠٠٠ (الحركة الإسلامية لأوزبكستان) كما حدد وزير الخارجية كولين پاول تنظيمين إرهابيين أجنبيين: الجيش الجمهورى الأيرلندى، والقوات الكولومبية للدفاع عن النفس (أوك) عام ٢٠٠١، وفى أكتوبر ٢٠٠١، أعاد وزير الخارجية پاول تثبيت ٢٦ من بين ٢٨ تنظيمًا إرهابيًا أجنبيًا كان تحديدها قد قارب الانتهاء، وضم جماعتين قد سبق تحديدهما: كاهانا شاى وكاخ فى قائمة واحدة تضم التنظيمات الإرهابية الأجنبية.

وقد ضمت قائمة ٥ أكتوبر عام ٢٠٠١:

١- تنظيم أبو نضال. ٢- مجموعة أبو سياف. ٣- الجماعة الإسلامية المسلحة. ٤- أوم شينريكو. ٥- الباسك، أرض الآباء والحرية (إيتا). ٦- الجماعة الاسلامية. ٧- حماس (حركة المقاومة الإسلامية). ٨- حركات المجاهدين. ٩- حزب الله. ١٠- حركة أوزبكستان الإسلامية. ١١- الجهاد

(حركة الجهاد المصرية). ١٢ ـ كهانة شاى (كاخ). ١٣ ـ حزب العمال الكردى. ١٤ ـ نمور تاميل للحرية. ١٥ـ تنظيم مجاهدى خلق. ١٦ـ جيش التحرير الوطنى. ١٧ـ الجهاد الإسلامى الفلسطينية. ١٨ـ جبهة التحرير الفلسطينية. ١٩ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ٢٠ـ القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ٢١ـ القاعدة. ٢٢ ـ الجيش الجمهورى الأيرلاندى الحقيقى. ٢٣ـ القوات المسلحة الثورية الكولومبية. ٢٤ ـ النواة الثورية (أيلا سابقًا). ٢٥ـ تنظيم ١٧ نوفمبر الثورى. ٢٦ـ جيش جبهة التحرير الشعبى الثورية ٢٧ـ الطريق الساطع (سينديرو لومينوسو). ٢٨ ـ القوات الكولومبية للدفاع عن النفس (أوك).

ملحوظة: للحصول على أوصاف أو صفات هذه التنظيمات، عليك الرجوع إلى "أنماط الإرهاب العالمى ٢٠٠٠" .

المعايير القانونية لوضع التنظيم على قائمة الإرهاب

١ـ يجب أن يكون التنظيم أجنبيًا .

٢ـ يجب أن يشتغل التنظيم بنشاط إرهابى، كما هو محدد فى قسم ٢١٢(أ)(٣)(ب) من قانون الهجرة والجنسية .

٣ ـ يجب أن تهدد أنشطة التنظيم أمن مواطنى الولايات المتحدة، أو الأمن الوطنى (الدفاع الوطنى، أو العلاقات الخارجية، أو المصالح الاقتصادية) للولايات المتحدة .

آثار هذا التصنيف من الناحية القانونية

١ـ من غير القانونى لشخص فى الولايات المتحدة ، أومن هو خاضع للقضاء الأمريكى، أن يقدم أى دعم مالى، أو غير ذلك من الدعم المادى، لتنظيم إرهابى أجنبى تم تحديده .

٢ ـ إن الممثلين أو الأعضاء المعينين للتنظيم الإرهابى الأجنبى، إذا كانوا غرباء، يمكن أن يحرموا من تأشيرات دخول الولايات المتحدة، أويستبعدوا من الولايات المتحدة .

٣ ـ يجب على المؤسسات المالية فى الولايات المتحدة أن تمنع تمويل التنظيمات الإرهابية الأجنبية المحددة ووكلائها، وتبلغ عن هذا المنع لمكتب مراقبة الأصول الأجنبية ، ووزارة الخزانة الأمريكية .

الآثار الأخرى

١- منع المنح أو المساهمات للتنظيمات المذكورة.
٢ - زيادة المعرفة والقلق العام بالتنظيمات الإرهابية.
٣- تنبيه الحكومات الأخرى بقلقنا من التنظيمات المذكورة.
٤- وصم التنظيمات الإرهابية وعزلها دوليًا.

كيفية العمل

يتخذ وزير الخارجية الأمريكية القرارات المتعلقة بوضع أو رفع التنظيمات الإرهابية الأجنبية(فى قائمة التنظيمات الإرهابية) بعد عملية مراجعة بالغة التدقيق بين الوكالات، تمحص فيها جميع الأدلة على نشاط جماعة معينة، من جميع المصادر السرية والمتاحة. وتعد وزارة الخارجية الأمريكية، من خلال العمل الوثيق مع وزارتى العدل والخزانة وجماعة المخابرات، "سجلاً إداريًا تفصيليًا"، يوثق هذا السجل النشاط الإرهابى للتنظيمات الإرهابية الأجنبية الموضوعة على القائمة. وقبل نشر أسماء موضوعة على القائمة من التنظيمات الإرهابية الأجنبية بسبعة أيام، فى السجل الاتحادى، تقوم وزارة الخارجية بتقديم إخطار للكونجرس.

وحسب اللائحة، تخضع عملية وضع التنظيمات على القائمة للمراجعة القضائية. وفى حالة الاعتراض على وضع جماعة بين التنظيمات الإرهابية الأجنبية أمام المحكمة الفيدرالية الاتحادية، فإن حكومة الولايات المتحدة تعتمد على السجل الإدارى، للدفاع عن قرار الوزير. وتشمل هذه السجلات الإدارية معلومات استخبارية؛ لذا فهى سرية. وينتهى وضع التنظيمات على القائمة فى خلال عامين ما لم يتم تجديده. ويسمح القانون بإضافة جماعات فى أى وقت بعد صدور قرار من الوزير، بالتشاور مع النائب العام ووزير الخزانة. كما يمكن للوزير إلغاء وضع تنظيمات على القائمة بعد التأكد من أن هناك أسسًا لذلك مخطرًا الكونجرس.

ويعرف قانون الجنسية والهجرة النشاط الإرهابى بأنه أى نشاط غير شرعى بحكم قوانين المكان الذى ارتكب فيه، أو الذى، إذا ما ارتكب فى الولايات المتحدة، يكون غير مشروع بحكم قوانين الولايات المتحدة أو أى ولاية، أو ذلك العمل الذى ينطوى على أى بند من الآتى:

١- اختطاف أو تخريب أى وسيلة نقل، بما فى ذلك أى طائرة أو باخرة أو مركبة.

٢ - الإمساك بأى فرد، أو احتجازه، أو التهديد بقتله أو جرحه، أو الاستمرار فى احتجازه، وذلك بغرض إجبار شخص ثالث، بما فى ذلك هيئة حكومية، للقيام بأى عمل أو الامتناع عن أى عمل، كشرط صريح أو غير صريح لإطلاق سراح الفرد الذى تم الإمساك به أو احتجازه.

٣- الهجوم العنيف على شخص يتمتع بالحماية الدولية (كما عرف فى قسم ١١١٦ (ب) (٤) تحت عنوان ١٨ من قانون الولايات المتحدة)، أو على حرية مثل هذا الشخص.

٤- الاغتيال.

٥- استخدام أى من:

(أ) عامل بيولوجى، أو عامل كيمائى، أوسلاح نووى أو طريقة أو:

(ب) المتفجرات أو السلاح النارى (باستثناء غرض الكسب الشخصى للمال) بنية تعريض سلامة فرد أو أكثر للخطر أو التسبب فى خسارة كبيرة أو ضرر للمتلكات.

٦- التهديد أو المحاولة أو التآمر للقيام بأى مماسبق.

* * *

اصطلاح "التورط فى نشاط إرهابى" يعنى ارتكاب الشخص بوصفه فرداً أوكعضو فى تنظيم، عمل من أعمال النشاط الإرهابى أو عمل يعلم مرتكبه، أويمكن أن يعلم على نحو معقول، أنه يقدم دعماً مادياً لأى فرد أو تنظيم أوحكومة فى إدارة نشاط إرهابى فى أى وقت، بما فى ذلك أى من الأعمال الآتية:

١- الإعداد أو التخطيط لنشاط إرهابى.

٢- جمع معلومات عن الأهداف المحتملة للنشاط الإرهابى.

٣- تقديم أى نوع من الدعم المادى، بما فى ذلك السكن الآمن، أو النقل والاتصال، أو التمويل، أو الوثائق المزيفة، أو تحقيق الشخصية، أو الأسلحة، أو المتفجرات، أو التدريب لأى فرد يعرف الفاعل، أولديه ما يحمله على الاعتقاد أنه ارتكب أو يخطط لارتكاب نشاط إرهابى.

٤ - المطالبة أو العمل على تمويل أو الحصول على أى أشياء ذات قيمة لنشاط إرهابى أو لأى تنظيم إرهابى.

٥ - حث فرد على العضوية فى تنظيم إرهابى، أوحكومة إرهابية، أو التورط فى نشاط إرهابى.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٢٠٠٠٢/١٧٩٠٢
الترقيم الدولى × - ٠٨٦٩ - ٠٩ - ٩٧٧

نعوم تشومسكى

9-11

تعريب: إبراهيم محمد إبراهيم

مكتبة الشروق الدولية